أبو سارابوزا

طبع في مصر

أبو سارابوزا

رواية

د. مصطفى هاشم (د. أوزوريس)

النخبة
للنشر والطباعة والتوزيع
2019

الطبعة الأولى – عن النخبة للطباعة والنشر والتوزيع

2019 – 1440

رقم الإيداع: ** / 2019

الترقيم الدولي: ** – ** – 838 – 977 – 978

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

النخبة للنشر والطباعة والتوزيع

6 شارع رجاء عبدالرسول، المتفرع من شارع وادى النيل

أمام سور نادى الزمالك– الجيزة – مصر – 01288688875

E-mail: alnokhoba@gmail.com

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من المؤلف.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

الإهداء

إلى من علمتني ورحلت ... سلامًا

إلى أبي وأمي .. وأخوتي

وإلى من حلمت يومًا... بي كاتبًا

وإلى ذلك الآتي ولم يولد .. بعد ...

... إذا أتيت .. فقل سلامًا

.. على من رحل ... ورحلوا

هناك في عمق اللا وعي تكمن شخصيتان تقومان معًا بتنفيذ ما تهمس به الطبيعة

بل حتى يمكن بهذا الهمس تزيين الباطل.

تنويه هام

أحداث هذه القصة حدثت في جمهورية **سارابوزا** الديمقراطية، وكذلك جميع أبطالها تم تدميرهم هناك، إلا أربع وإعادة حمامة، ولذا فإن أي تشابه بين الأحداث والواقع يُعد من قبيل الصدفة البحتة وإسقاط العقل اللا واعي.

د. مصطفى هاشم

وكلما جئت بمدينة شهيرة أشاد بي الرجال والنساء، وتبعني الآلاف ليرتووا بإلهامي. بعضهم يطلب مني نبوءة وآخرون يتضرعون لأجل الشفاء من كل مرض.

الفيلسوف الإغريقي أمبادوكليس

ثلاثة أمور لا يمكن اختفائها لمدة طويلة، الشمس.. والقمر.. والحقيقة!

بوذا

إذا أحسست أن الكلمات تؤلمك، فاعلم أن الواقع سيصبح عما قريب أشّد إيلامًا.

إنها فقط طريقة تكيّف اللا وعي مع وضوح الحقيقة.

د. أُوزوريس

الجزء الأول

الفصل الأول

همَّ أن يغلق التلفاز.. الفيلم قد عرض النهاية.. كان فيلمًا رومانسيًا ولقد انتهى كالعادة بقبله بين الحبيبين تمناها محمودِ وغاص في تخيلات ربما أبعد من ذلك.

فمحمود كان عاطفيًا للدرجة التي تدمع عيناه مع أحداث مشابهة، لكنه قال في نفسه:

أهي النهاية أم البداية؟.

قال متبسمًا ربما خلعته الحبيبة بعد شهرين من نهاية الفيلم.

كان الفيلم يحكي قصه شاب وفتاة من عائلتين متخاصمتين حتي الفجور،

لكن على ما يبدو فإن المؤلف كان يحب النهايات السعيدة ولذا فبعد معارك ومعارك.. تعانق الحبيبان وحتي الجمهور كذلك!.

بعد أن قُتل أحد أبناء عمومتها.. والذي بطبيعة الحال لابد وأن يكون مجرمًا طامعًا.. ذو علاقات نسائية متعددة.. كان الرجل أهطلًا أيضًا.

الحبيب كان مدخنًا.. لكنه يشرب في المناسبات فقط ولم يكن ممارسًا للجنس سوى مع حبيبته.. لذا لم يعده المخرج زانيًا.. وقُتل ابن العم في النهاية ليظفر بمحبوبته.

دمعت عينا محمود حينما رآهما يتعانقان.. دمعت عيناه على حاله ربما لا يدري،

لقد تحديا الواقع وخصومة الآباء والأجداد.. فالحب لا يعترف بالجدران.. أو هكذا أُخرج له.

لقد قُتل ولكن لسببٍ ما كانت الجريمة كاملة.. فلم نسمع للبوليس صوتًا، إنهم يأتون متأخرون كالعادة لكنهم هنا لم يحضروا بالكلية.

ولقد تم توكيل الحبيب في تنفيذ عقوبة الإعدام نظرًا لعدم وصول الشرطة.

كان البطل ذو جسد ممشوق.. وسيم.. رياضي.. يعرف كيف يعزف على أوتار السيدات.. مثابر، ودل على ذلك إصراره العنيد على التعرّف بمحبوبته.. تلصص أحيانًا.. عاكسها تليفونيًا مرات أخرى.. فالمتحرّش مجرم في نظر قانوننا، ما لم تكن تريده فتاتنا.. ثم أخيرًا استطاع وبجهدٍ يُحسد عليه من كل المشاهدين أن يتسلق الشجرة التي بجوار البلكونة ليشاهدها.

بطبيعة الحال وكالفتاة السارابوزية، لابد لها أن تخجل لدقائق معدودة قبل أن يزول هذا الخجل بداعي الإتيكيت أو ربما بداعي عدم قدرتها على مقاومة سحره الأخّاذ.

كان ذا صوتٍ عذب.. أخذ يغني لها أو ربما عليها حتى دغدغ مشاعرها لكن محمود لا يصدر صوتًا إلا أثناء النوم.

كانت المحبوبة فاتنة.. تجيد الرقص.. شيك.. أنيقة.. واضحة التضاريس حتى للعيان.. متحررة.. عنيدة.. وأيضًا غنية.

خرج محمود إلى بلكونته في ذلك الحي الشعبي.. لم يكن يسمع أي صوت لحفيف الأشجار.

كانت المسافة بعيدة بينه وبين أقرب بلكونة مقابلة وكان جسده ضعيفًا منهكًا.. كان مقبول الشكل نوعًا ما.. هكذا قالت له المرآة ذات يوم.

هو في الثلاثين ولا يعمل وربما لن يعمل، تخرج من كلية العلوم، قسم الأحياء.

ما زال يحيى مع والدته التي تتولى الإنفاق عليه بعد وفاة والده في حادث قطار وعبّارة نجا منهما، بعد ذلك داسه المثابرون في أحد طوابير العيش.

لم تكن صداقات الأسرة إلا في نطاق الحي الذي يقطنه فكلهم من محدودي الدخل وآكلي الفول.

فجأة.. أحس بأنه رأي شيئًا يتمايل في إحدى البلكونات البعيدة المقابلة.

بعد أن دقق النظر عن طريق إغماض إحدى عينيه، فلم يكن يملك تلسكوبًا يفيده في مثل تلك الحالات

كانت ترتدي قميصًا.. تبيّن بعد إمعان أنه قميص نوم بلون بني فاتح كالقهوة.

كانت جميلة هكذا تمنى.. ربما تشبه البطلة.

لم يعُد يسمع صوت الكلاب بالرغم من أنها الثانية صباحًا.

لوّح بيده بعد خجل.. لوّحت له، لم يشاهد حوله أية زهور إلا زهور البصل التي نبتت منذ تم تخزينها في العام المنصرم.

فكّر.. ما الذي يجعل امرأة كتلك تخرج بقميص النوم في ليل الصيف إلا لو كانت غير متزوجة أو ربما سافر عنها زوجها.

بصراحة كان يعتقد محمود أن الرجال هم الذين يخرجون في البلكونات في هذه الساعة المتأخرة وغالبًا ما يكونوا مدخنين معلنين للجيران أنهم منذ قليل قد وطأوا زوجاتهم.

فما أحلى التدخين بعد احتراق الأجساد المتلاصقة.

هل ينزل؟.

ربما كانت في حاجة لمن تأنسه في ليل الصيف الطويل.

فكم هي رائعة شهامة الرجال في سارابوزا

لوّحت له للمرة الثانية.. فرح جدًا ربما لمحت إصراره في التعرف عليها كما البطل.

وضعت إحدى يديها على أُذنها، وهي العلامة الشعبية المتعارف عليها لإبداء الرغبة في المحادثة الهاتفية، لكن هناك شيئًا في يدها الأخرى،

فهم ماذا تقصد لكنه لا يعلم ما هي الخطوة التالية

من هذه السيدة؟.

لم يرها من قبل أو ربما كانت تخرج، لكنه قليل المشاهدة.

ألمحت له من بعيد أن ينزل إلى الشارع.. فهم أنها ستُلقي ورقة مكتوب بها رقم الهاتف.

حمد الله أن هذا الفيلم قد جعله يسهر حتى تلك اللحظة.

كانت والدته تصلي في الخارج كعادتها يسمع تكبيراتها منذ فترة.. ماذا سيقول لها؟.

هو لا يدخن حتى.. ليس لديه سيارة ليطمئن عليها، كما أن الكلاب لا تعوي ليبعدها،

اهتدى أخيرًا للخطوة التالية.

رد عليها بأنه سينزل لشراء كارت للهاتف المحمول لإجراء مكالمة دولية، فقد كانت إحدى الشركات في الدول المجاورة

تطلب مندوبين مبيعات وتطلب إرسال رسائل بالبيانات الشخصية كخطوة أولى.

نزل سريعًا متلهفًا، خشي أن تدخل.. أحس إن والدته قد منعته دقيقتان وأن مقبض الباب ما هو إلا عسكري كالمسخ بأقدامٍ ثلاث جاثم على صدره المتسارع الأنفاس.

وجدها منتظرة.. عندما وصل رفع عيناه ليتبيّن ملامحها وجدها جميلة أو هكذا بدت له، من علوٍ

رمت ورقتها.. وسمع صوت ارتطام شيئًا معدنيًا.

التفت حوله ثم تناولها وجرى مسرعًا لم يفتحها، عرج على مكتب اتصالات قريب واشترى كارت للهاتف وعاد أدراجه نحو غرفته وأغلق بابها من الداخل.

فتحها.. كانت قد طبعت رقمها باللون الأحمر كلون شفتيها، وبجواره وردة بنفسجية، خرج ليشاهدها.. لم تكن موجودة.

بعد أن سجل هاتفها.. طلبها.. قلبه يدق.. كانت قد وضعت كول تون آية قرآنية.

ردت بصوت هامس زاده سخونة..

أهلًا بيك..

عاجلها طالبًا التعرف.. فقد أقسم ألا تضيع من يده

ميساء في الرابعة والثلاثين، متزوجة، سافر زوجها من أجل الرزق..

وربما أثرت أن يبتعد حتى أتفرغ لما أنا مكلّفة به

لا عليك، لا تنشغل بذلك.

أيضا أنا لا أعمل لكني متخرج من كلية العلوم قسم الأحياء.

أحياء ؟!.

نعم.

تعرفيه؟.

لا فمعلوماتي عنه قد تجمدت عند نظرية التطور،

ردت مبتسمة..

دعنا في هذه البداية من العلوم الجامدة ولنتحدث عن الامور الرقيقة.

تحادثا حتى آذان الفجر

اعتذر منها ليقوم بالصلاة..رحبت طالبة منه معادوة الاتصال.

الفصل الثاني

بعد أن انتهى من صلاته كالعادة في المسجد قبل الذهاب لعمله في تلك الدولة المجاورة الغنية.. رن عليها فقد كان معتادًا أن يذكرها بأنه في طريقه للعمل..

هو من أشار عليها بتلك الكول تون.. بل أنه أهداها إليها حتى تسلم من سخافات المعاكسين.

ردت عليه الرنة وذادتها أخرى..

وضع هاتفه جانبًا ومضى إلى عمله داعيًا الله أن يحفظها ويرزقه.

ومضى محمود نحو غرفته مسرعًا دون أن يستغفر الله كما تعوّد بعد أداء الصلاة.

ليس في حاجة للنوم.. كان معتادًا أن ينام حتى العاشرة صباحًا.. عاود الاتصال بها وكان هاتفها مشغولًا..

بعد محاولات أصبح فيها في وضع الانتظار.. ردت هامسة: تقبّل الله.

محمود: منّا ومنكم.. صليت الفجر؟.

ميساء: لا أنا برادنة قوي ومش قادرة أقوم من السرير.

تبسّم محمود دون أن ينطق بكلمة لكنها عاجلته.. وأنت؟.

محمود: آه بردان.

ميساء: أوك أنا مضطرة اقفل دلوقتي.. ترجاها أن تظل لكنها كانت قد أغلقت الهاتف في وجهه.

عادل في الانتظار.

كانت ذكية لتدعه في لوعته وشوقه.. محمود..

كانت متمرسة بعض الشيء.. تعلمته من مثل أفرنجي في أحد المنتديات.

لم تكن علاقتها بالإنترنت لها سابقة تاريخية

والذي أشار به عليها زوجها كي يحادثها من آنٍ لأخر، كي يتفاديا ثمن المكالمات الدولية المُبالغ فيها جرّاء احتكار شركات المحمول بعد علاقات بحكومة سارابوزا التي أدمنت.. حتى منع مواطنيها من ترف الكلام..

إلا من خلال المنتديات ومواقع الجنس الإباحية وتحميل بعض الأغاني والأفلام من وقت لآخر.

كان المثل يقول المرأة الذكية هي التي تقول نعم حينما تقصد الرفض والعكس صحيح.

لكن النسخة السارابوزية كانت تذكر يتمنعن وهنّ الراغبات.

حقًا كانت تتمنع على محمود.. لأنها كانت راغبة في عادل والذي كان على الانتظار.

كان عادل هو الشاب الذي لا تفرّط فيه امرأة في مثل ظروفها.

ذكي.. وسيم.. محافظ على السرية.. فهو يخشى على منظره الاجتماعي أمام الناس.. وهذا ما تريده بالضبط.

وأيضًا..

أطال الله في عضوه الذكري منذ خمسة أشهر بمقدار عشرين سم وهي لا تدري كيف..

أعجبها، لكنها شاءت ألا تساله.. بيد أنه قد فقد أصبع السبابة الأيمن أيضًا..

تذكرت أول يوم قابلته.. هو من أشار عليها بإحضار رقم آخر ليمكنه دومًا الوصول إليها.. أحضر الخط من إحدى المحال دون عقد حتى لا يُضرا إذا ما افتضح أمرها. كان يحبها ويخاف عليها.. هكذا كانت تقول..

لكنه كان يقول لها ذات مرة سمعت ممثلًا يقولها

السلوك السيء دومًا يأتي من الشعور بالخوف.

فزواج الصالونات لم يفلح في أن يجذبها لزوجها المخلص والذي كانت تتعامل معه من باب أداء الواجبات الاجتماعية لا أكثر.. لكن عادل كان حبيبها وعشيقها.

لكنها ردت عليه:

أيضا قد قرأت مقولة لا أذكر صاحبتها..

لا تدع الخوف يوقفك عن محاولة تجربة الأشياء الجديدة حتى وإن كنت لا تحبه معهم.

كان غريبًا في عواطفه وطريقة حبه.. جذبها وتمنت لو أنها قد قابلته قبل زوجها.. لكنها عادت وقالت لنفسها: كدة أفضل.

فالزواج يدمر الحب.. هكذا قال عادل.

والحب في الـزواج يختلف عنه في الواقع أو في العشق، فالعاشقان يتلاقيا في وقت هيّئا نفسيهما له ناسين جميع الهموم، أو متناسين.. أما الزوج فيأتي إلى منزله حيث لا مكان يذهب إليه فهو فندق دفع ثمن إقامته مستقبلًا.

لكن الرومانسية عند عادل كانت مرتبطة بالزمان والمكان.

إنها فقط تتواجد على السرير وحينها يعلنها: أحبك..

بيد أن رفع الغطاء يسقط الرومانسية أرضًا مع الغبار تاركًا لها مهمة نفض ما تبقى منها.

أحبت ما تجربه معه من جديد، ذلك المجنون العملي.

كان يحب فيها خيانتها وجرأتها، ولذا فقد قال أنه من الأفضل أنه ليس زوجها.

فالمرأة في المجتمع السارابوزي المحافظ ظاهريًا والفاجر في باطنه متمنيًا للخيانة في كل وقت وحين حتي في أحلامه وتخيلاته، مع كل قصة يقرأها وفيلم يشاهده.

فهو البطل الضارب بالتقاليد والأعراف عرض الحائط.

تتعلم كيف لا تخجل إلا من زوجها.. هكذا تقول لهن الأمهات..

لكنها ما إن تتعرف إلى صديق أو محبوب أو حتى عاشق تصبح أكثر انفتاحًا حتى على مستوى ساقيها.

فكما يقول المثل السارابوزي القديم ولله در من أطلقه: جوزها يوفر فيها..

تبسمت بعد أن أكمل لها المثل في أذنها اليمنى وردت هل تستطع؟.

لكن عبد الله بالخارج منذ سنتين لم يرجع ولو لليلة،

وللعشق أنواع ولكل منها تعريف مختلف ينطوي أو لا ينطوي على عشق جنسي فاجر

تخرجه للجميع،

سوى الزوج البائس والذي دومًا ما يكون غافلًا حتي بعد أن يعلم العالم من حوله أن الزوجة خائنة وكأنه يأبى أن يصدّق طعنًا في ذكورته.

لذا فمنهم من يقتل ومنهم من يسجن أو يتم التمثيل بجثته مرورًا بالهروب منه.

لكن معدلات الهروب قد قلّت بعد أن وضع القانون السارابوزي لها إطارًا دستوريًا..

قال لها ذات مرة وهما في السرير:

عادل: ماذا يمثل لك زوجك؟.

ميساء: السند والحائط والبعل والمال.

عادل: أنا ؟؟.

ميساء: هو الحائط الذي نتعانق مستندين إليه وهو البعل الذي يدافع عني ويحميني وهو المال الذي وفر لنا المكان الذي ألتقيك فيه.

الله يا عادل أعطاني زوجًا كي أتكيّف مع كل العواصف لكن معك أنت.. ردت بقهقهة..

عادل باسمًا: الحمد لله أنني لست حائطًا لأحد.

هل تحبينه؟.

ميساء: هو طيب جدًا.

لكن الجنس كما السياسة يا عزيزي، نقص الخبرة فيهما خطيئة لا تغفرها المرأة.

أو ليست سارابوزا أمك؟.

الفصل الثالث

.. تتذكر هذا الحوار يوميًا حين ترى رقمه على هاتفه المودع عندها.

ميساء: آلو.. وحشتني.

عادل: أنت أكثر.

لم يكن أبدًا ليسألها عن ماضٍ أو حاضر، لم يكن يمارس معها دور الزوج الذي تكرهه بل يرسخ لدور العاشق الذي أحبته. لم تتذكر يومًا أنه سألها كنتي بتعملي إيه؟.

بل هي من تسارع بالإجابة عن السؤال الغائب في مجري الحديث، إلا أنه كان لا يعلّق كالعادة بل يسمع فقط.

عادل: وحشتك؟.

ميساء: أوف.. تعالى وأنت تعرف.

كانت على قناعة بمقولة ستيف مارتن:

الجنس هو أحد أجمل الأمور الطبيعية الممتعة التي يمكن للمال أن يشتريها.

لذا فكانت تعطيه راتبًا شهريًا من فائض ما يرسله لها زوجها لكنه كان أكبر مما يتخيل.

تتذكر أنها لم تقل لزوجها هذه الكلمة مطلقًا: تعالى حتى عندما عرض عليها أن تأتيه زيارة، ليراها ويستأنس بها.

ردت عليه بنبرة يملأها الأسى:

يا حبيبي وفّر فلوسك، المعيشة هنا نار واحنا يا دوب ربنا ساترها معانا، أنت مش هتفضل مسافر طول العمر.

أنت جنبي وفي قلبي وبكرة ربنا يجمعنا قريب بعد ما تحقق أهدافك.

شكرها زوجها كثيرًا على أخلاقها، وتفانيها في الصبر على افتقاده، والعمل المستمر على نصحه وتوجيهه وإرشاده، وتغليب مصلحة الأسرة على مصلحة الفرد.

كان دومًا يتذكرها بشيء من المباهاة أمام أصحابه في الغربة، القاطنين معه بنفس الغرفة.

قال حينها أحد أصدقائه في مثل ظروفه:

احمد ربنا، ده أنت معاك جوهرة حافظ عليها. مش زي مراتي اللي كل شوية تقول لي انزل. مش قادرة اعيش من غيرك أو خدني عندك.. خدها ربنا.

حينما ظهرت تضاريسها المثيرة للجدل في أنحاء الحارة، أراد كل شاب أن يعتليها متنقلًا بين الوديان والسهول. لكن عبد الله كان قد قرر اتخاذ الزواج سبيلًا للامتطاء.

كانت قد عملت على إظهارها حتى تتزوج بناء على نصيحة من والدتها التي قالت إن البنات لا بد وأن يفعلن ذلك حتى ينصرف الشباب عن معدومات التضاريس.

وتكون هي وأمثالها محطًا لأنظار الباحثين عن ركوب الصعب وتحدّي الطبيعة الوعرة بالزواج، والباحث أيضًا عن زوجة يفتخر بها أمام جميع أقرانه في الحارة والمنطقة، وربما في القطر أيضًا..

لم تكن هذه التضاريس المستفزة بالنسبة للذكور إلا بمثابة إعلان مدفوع الأجر عن فحولتهم حين يُشاهدون معًا.

لكنها لهن كانت تطبيقًا عمليًا لقراءة متأنية لواقع أدمن حب الجسد وإبراز الذكورة..

كما أنه وسيلة للتميّز بين الأقران.

ففي المجتمع الغبي المتخلف لا شيء نتفاخر به سوى الفحولة والتضاريس!.

وأصبحت الشوارع تُعرف بالتضاريس المتواجدة فيها.

فهذا شارع الرمش.. وهذا شارع الصدور وذاك للخلفيات.. وكل حسب اهتماماته في الجغرافيا

وربما من صعوبة التضاريس فقد استعان البعض بالرحلات الجماعية متعاونين على هزم الطبيعة، فجاءت وفود من جميع الدول المحيطة للمساندة والدعم.

تجدهم مصطفين في الشوارع بسياراتهم للتحرش والاصطياد.

لكن المجتمع كان محافظًا لمنع الذكور من إخراج ذكورهم في الشوارع وإلا عُدت مخالفة لقانون الآداب العامة، وإن استعاض البعض عن ذلك بحركة باليد، إلا أنها للسباب وليست من دواعي الإثارة.

ذات مرة سألت صديقتها إلهام، قبل الزواج حيث كانوا يجلسون في مقهى يدخنون الشيشة..

كانت صاحبتها ترتدي بدي يبرز صدرها بطريقة تدحض نظرية الجزء المخفي من الجبل أكثر من الظاهر منه.. كانت صاحبتها تكره علماء الجغرافيا المحافظين.

قالت ميساء: تخيلي لو الرجالة طلّعوا أعضاءهم الذكرية في الشارع زينا كده؟.

ردت بسرعة: إيه اللي بتقوليه ده؟ دي تبقى قلة أدب وسفالة.

لكنها ابتسمت في خبث بينما شخصت عيناها أسفل سرة رجلين مرا للتو بجوارهما، كان أحدهما سائحًا من دولة مجاورة اصبح زوجها فيما بعد وجعل تضاريسها حكرًا على بنياته هناك، فلم تعد تتواصل معها إلا هاتفيًا.

لم تكن المجتمعات هنا مجتمعات ذكورية كما يُروَج لها، بل كانت هذه المقولة مستوحاه من مبدأ الاستعطاف للحصول على أكبر قدر من المكاسب..

في الواقع فقد سيطرت الآلة على الحياة واختفى القلم، وتم إصدار قوانين بإلغاء استخدامه وتصنيعه وترويجه.. واصبح الكمبيوتر وأبناءه بديلًا عنه، فكان الإمضاء على العقود بالبصمة الإلكترونية وكذلك التوقيع، وكانت الكتابة حتى في المدارس والجامعات، تقتضي وضع أصابعك على لوحة مفاتيح لتخرج كلمات دون حبر.. دون رائحة إلا من صوت ارتطام، ساعدت التكنولوجيا الأحدث في إخفائه ليصبح همسًا في شكل لمس..

فوضع عادل أصبعه السبابة على لوحة المفاتيح وهمس بالتالي..

كيف تكون الدولة هي أنثى في معناها الضمني على شاكلة سارابوزا، هي أمي ثم تكون الأنثى جاهلة مستضعفة.

كيف يسمحون للنساء بالتعرّي في الشوارع ويجبرون الرجال على ارتداء ملابس ساترة للعورة في ملاعب الكرة.

كيف تقننون لها في الطلاق نفقة متعة؟ هل تأكدتم أنها قد متعت زوجها؟ لِم طلقها إذن؟.

كيف تسمحون لها بحضانة الأطفال إلى أن تتزوج؟. هل كان هذا شرطًا متفقًا عليه في عقد الـزواج؟ بل كيف يدفع الزوج لتربية من لا يراهم إلا بموعد مسبق؟!.

فلتأخذهم كليًا أو تتركهم كليًا.

يجب تحويل الزواج العرفي إلى رسمي موثّق أو منعه بتجريم منعًا للتستر على الساقطات!.

كيف تحاسبون الرجال على اغتصابهن وتغفلون سبق الإصرار والترصّد من جانبهن!.

كيف تسجنون من يغتصب ولا تسجنوا من وضع يده في يد الرجل قائلًا: زوجتك ابنتي البكر الرشيد!.

حاسبوا على الاغتصاب لكن أيضًا.. لا تغفلوا عن الغش والتدليس.

كان هذا ما كتبه عادل كرد على أحد الموضوعات في منتدى عنكبوتي.

انتشر الرد سريعًا وقام المشرف على قسم الأسرة والمجتمع بتثبيت الموضوع مما دعا كثيرون إلى الدخول لاقتباس هذا الرد.

وكان من بين الداخلين.. أحد ضباط الأمن الفيدرالي.

الفصل الرابع

كانت لديهم تقنيات تمكنهم من معرفه رقم الآي بي لجميع الداخلين على الإنترنت في حين لم تكن لديهم سجلات لعدد الفقراء في سارابوزا.

قام الضابط بالتسجيل في المنتدى بل قام بالرد على الموضوع:

سلمت لنا أناملك التي كتبت هذه الكلمات فكأنك تشعر بجميع الرجال المهضومة حقوقهم في هذا المجتمع البائس.

إن المجتمع ذا بالين..

ففي الوقت الذي يسمحون فيه للنساء بكل حرية يقفون أمام الرجال بكل ناصية.

إنها التوجهات العلمانية الملحدة التي فرضوها علينا يا عزيزي، وللأسف فقد استجاب بعض العملاء والخونة لدينا على رأس السلطة، أراحنا الله منهم وطهّر أرضنا من نجاستهم ولا حول ولا قوه إلا بالله.

تحياتي..

التوقيع: العارف بالله

عرف مكانه بالطبع وعنوانه وقاموا بزيارته قبيل آذان الفجر حيث يقوم الشيطان في هذا الوقت بالذات بإنعاس كل البشر حتى ذاك الجندي الذي يحرس تلك الحقيبة الخضراء.

تجمعوا قُرب أحد المساجد بطريقة توحي بأنهم من جماعة أنصار السنة.

وعلى طريقة الممرضات في غرف العناية المركزة تحسسوا السلالم صاعدين إلى شقته في الدور الرابع حتى لا يوقظوا الجيران فقد كانوا حساسين للغاية.

تذكّر الضابط أن لديه نسخة ماستر كي تمكّنهم من فتح جميع الأبواب داخل أراضي الجمهورية، حصلوا عليها طبقًا للقانون السارابوزي، من الشركة الوحيدة المحتكرة لأقفال الأبواب.

أخرجها..

وفتح الباب بحساسية اللصوص وتبعه سبعة من ذوي الرُتب المختلفة.

بعد تحريات سبقت عملية زوار الفجر علموا بأنه يقطن مع والدته وقاموا أيضًا بمراقبة هاتفه لمدة أسبوع كامل ولم يتناسوا بالطبع تسجيل بعض المكالمات الهاتفية، كانت معظمها

محادثات جنسية مع ميساء، فقاموا بإتلاف الشرائط حتى لا تقع في أيادي من لا يستر، وقام أحد الضباط بمحاولة التحدّث لها لنصحها وإرشادها إلا أن محاولته باءت بالمكوث معها ثلاث ليالي لتوجيهها.

كانت أبواب الغرف جميعها مفتوحة لذا عرفوا غرفته بعد أن قاموا بالدخول على والدته عن طريق الخطأ، لكنهم لم يوقظوها بل قام أحد الضباط بتغطيتها جيدًا بعد أن لاحظ وجود الغطاء أرضًا، ثم طبع قبلة على خدها للحصول على بركتها وتركها زاحفًا على ركبتيه.

ما إن دخلوا غرفته أخرج أحد الضباط جهاز كمبيوتر لوحي، وقام بتدوين بعض الملاحظات:

العنصر ينام على جنبه الأيمن واضعًا يده اليمنى تحت خده الأيمن، ثم قام بتدوين محتويات الغرفة: جهاز كمبيوتر لوحي، إضافة إلى طابعة لا سلكية و عدد واحد تليفون محمول وعدد واحد جهاز سخان كهربي لغلي الماء.

حينها أشار الضابط القائد على أحد المجندين برغبته في تناول كوب شاي ثقيل حيث أنه لم ينم منذ يومين لضغط العمل المتواصل.

أشار إليه أن يذهب للمطبخ زاحفًا على قوائمه الأربع، كما أبدى أحد الضباط المعاونين رغبته في النوم، فأشار عليه بأن ينام في البلكونة والتي كانت مفتوحة أصلًا هامسًا إليه أن يسجّل هذه الملاحظة إذا ما قرروا مستقبلًا سلوك هذا الطريق وصولًا للغرفة منعًا لإحداث جلبة لباقي السكان وتعكير صفو منامهم.

جلس الضابط على المكتب وأمسك بكوب الشاي وأخرج سيجارته، إلا أنه أعادها حينما نظر حوله ولم يجد أي آثار للتدخين. شعر بالخجل إذ كيف يخالف وهو الضابط قانون منع التدخين السلبي. ثم أشار للباقين بالجلوس في الصالون دون إحداث جلبة وإلا قام بمعاقبتهم.

ثم أرسل رسالة بالمحمول والذي اتفقوا أن يكون صامتًا طبقًا للقانون:

هل حضر الطبيب؟.

بعد ساعة يا افندم..

هل يعرف العنوان؟.

معه أحد ضباطنا يا افندم.

فرد عليه: شكرًا.

حضر الطبيب في الموعد المتفق عليه وبرسالة صامته تم فتح الباب والدخول إلى غرفة عادل

الضابط باسمًا: أهلًا وسهلًا يا دكتور الحمد لله إن حضرتك وصلت.

كان الطبيب برتبه عقيد في شرطة سارابوزا الفيدرالية، وكان موضوع الدكتوراه التي أُرسل لاستكمالها في إحدى دول الفرنج، التعذيب دون إحداث ألم في الحالات الحرجة بين النظرية والتطبيق.

كان متفوقًا بين أقرانه، ولذا فبعد عودته سرعان ما تقلّد أعلى المناصب، إلا أنه كان يحب أن يباشر كل صغيرة بنفسه غير عابئًا بصحته، فراحة المرضى كانت متعته وراحته الوحيدة.

قام الطبيب برش البنج على وجه عادل بعد أن تأكّد من نومه العميق، قام بإعطائه حقنة مخدرة في الوريد، بعيد قيامه بقياس ضغط الدم والنبض وتحليل السكر العشوائي والكشف على صدره وقلبه.

أشار القائد إلى أن الألم فى أصبع السبابة الأيمن يستحيل معه العلاج الدوائي، فقام الطبيب على الفور بإخراج آلة بتر متطورة بتقنية مانع النزيف عن طريق الكي والتي لم تكن متواجدة في أي مستشفى حكومي أو خاص، وكانت حكرًا على أجهزة الأمن.

قطع الإصبع كاملًا دون إحداث أي نوع من الخطأ، ثم بعد أن تأكد من عدم وجود النزيف قام بلف اليد كاملة بطبقات من الشاش المعقم الفاخر ثم قام بإعطائه جرعة من المضاد الحيوي في الإلية اليمنى، وحينها أشاح الضباط بوجوههم للناحية الأخرى احترامًا لأردافه.

مصحوبة بأخرى من مسكِّن قوي.

الضابط: تسلم الأيادي يا افندم.

الطبيب: لا شكر على واجب.

الضابط: يمكننا الانصراف الآن لكن يا ريت بالراحة عشان الحاجة ما تقلقش، لسه قدامها ساعة وتصحى بالسلامة.

لم ينس الطبيب أن يضع بجواره على الكوميدينو حقيبة بلاستكية خضراء، مطبوع عليها شعار إحدى الصيدليات والتي كانت تعود ملكيتها سرًا إلى جهاز الأمن الفيدرالي، وظاهريًا لأحد الصيادلة المشهود له بالتقوى والورع، وسمح له أيضًا بتربية لحيته وإطلاقها رغم التضييق على مربيها في كل مكان.

كانت الحقيبة تحتوي شاش وقطن ومضاد حيوي ومسكن، ووضع بجوارها ملف أنيق مطبوع، يحتوي على روشتة مكتوب بها تلك الأدوية وموقّعة من الطبيب الاستشاري د/ عاطف أبو

رحمة، بعد أن وضع تقريرًا بحالته والتوصية والإقرار بالموافقة على البتر بأصابعه العشرة.

بعد أن خرجوا من الغرفة تذكر الطبيب شيئًا مهمًا فعاد برفقة الضابط القائد ثم طبع ورقة:

عزيزي عادل لا تنسى أن تباشر أحد أطباء القلب في أسرع وقت، فربما كنت تعاني من ارتجاع في الصمام الميترالي.

Dear colleague :

May I refer kindly this patient who may be complaining from Q. mitral regurgitation

For your more evaluation , thanks

قرأ الضابط الورقة بينما يضعها بجوار الأوراق بداخل ملفه فربت على كتف الطبيب احترامًا، ثم خرجا بعد أن قال الطبيب: يمكننا الانصراف الآن.

الفصل الخامس

كانت جمهورية سارابوزا إحدى الدول الكبرى في محيطها الإقليمي.. مجموعة دول البطريق.. البالغ عددها 22 دولة.. لكنها الآن قد وصلت إلى 28 دولة..

كان لها شعارًا موحدًا.. غصن زيتون مشتعل ومنقار لحمامة لها قصة، تحولت إلى أسطورة..

فقد كانت الحمامة تذهب هنا وهناك من أجل البحث عن رزق صغارها.. تغدو صباحًا.. وتعود في المساء.. وفي أحد الأيام.. رأت صقرًا جارحًا.. بأعلى شجرة لكنه يئن إذ تنافس ونسر على حمامة مما أشعل بينهما معركة فقد فيها جناحه الأيمن..

إن الشهامة تحتّم عليها مساعدة الجريح حتى وإن كان عدوها التقليدي.. فقامت على الفور كل يوم بالعروج عليه حاملة ما لذ وطاب.. وقسّمت مجهودها بينه وبين صغارها..

وما إن استعاد عافيته.. حتى صارحها بحبه.. ووافقت على الفور.. لما فيه من قوة وعنف، إضافة إلى رغبة منها في تحسين النسل..

لكنه فور أن أخذ منها ما يأخذه الرجال من النساء.. زهد فيها.. أعطاها ظهره.. أحست أن ذلك ربما يستدعي تدللها.. قفزت على ظهره.. فإذا به انقلب وحشًا.. اغتصبها وسط ذهول رجل كان يجلس أسفل الشجرة وأمامه جذوة من النار مشتعلة على وعاء من القهوة البطريقية المشهورة..

صراخها قد أناخ قلبه.. ذهب إلى شجرة مجاورة.. قطع غصنًا من الزيتون.. ورماه فوقهما..

الصقر نظر للرجل نظرة جعلت فنجان القهوة ينسكب..

لم يكن هناك أي خير في ذلك..

بل أجهز الصقر على الحمامة.. يجرح في منقارها.. أحس الرجل أن الزيتون قد أتى بثماره، وما ذلك إلى قبلات حارة من طائر جارح لا يتقن سواها..

لكن منقارها سقط أرضًا على الأرض التي لم تشرب تلك القهوة المنكسبة ذات اللون البني الفاتح..

ووراءها غصن الزيتون.

ثم طار منطلقًا.. إلى وجهة غير معلومة.

أقسم الرجل الأول أن قطرات قد سقطت أمامه في الوعاء.. غيرت اللون.. هي دموعها على ما يبدو

ثم فجأة نزلت الحمامة ووقفت على مقربة من النار.. تنظر إليه وإلى منقارها.. وتارةً إلى غصن الزيتون..

ثم قامت بجره إلى الجذوة.. بأقدامها فاشتعل..

ثم طارت هي الأخرى إلى حيث لا يدري.

قال الرجل الذي أصبح يحكي تلك القصة بعد زيادة الحبكة الدرامية عليها.. أنه كل ليلة يسمع أنين الحمامة.. ويرى غصن زيتون مشتعل.. وأيضًا رأى الصقر يأتي كل يوم لذلك المكان.. ينزل لمكان النار.. ويضرب بجناحيه الأرض وجذر الشجرة يحاول إسقاطها فتئن هي الأخرى.

قام هو ومجموعة من الرفاق بالبحث عن الحمامة ذات المنقار المبتور.. لكن بحثهم كلل بالفشل..

كانت قصة الحمامة والصقر.. هي المحببة لدى الأطفال قبل النوم.. يتمنى كل منهم أن يجد الحمامة.. ليقوم بإعادتها إلى الصقر مع غصن زيتون أخضر..

لكن حتى هذا الموعد قام الرجل الأول بوضع قطعة قماش بلون بني فاتح.. وفي وسطها وضع رسمًا لمنقار، يحيط به غصن زيتون مشتعل، وثبت به عصا ووضعها تحت الشجرة..

بعد مئات السنين أصبحت علمًا وشعارًا لمجموعة دول البطريق.. وأصبحت الشجرة التي قال مؤرخون أنها ما زالت

حية.. رغم وجودها في الصحراء.. عن طريق دموع الحمامة التي ليلًا تسقيها..

وكان الصقر يأتي كل ليلة ليبحث عن الحمامة فإن لم يجدها يدمر تلك الشجرة بمخالبه يقطّع جذورها، تسقط ثم تنمو مرة أخرى على وقع دموع الحمامة

هكذا كل ليلة..

تم بناء قبة خضراء حول تلك الشجرة وأصبح لها من القداسة ما جعل مجموعة الدول البطريقية تنشأ بجوارها قاعدة آمنة مقرًا للاجتماع السنوي بين ممثلي تلك المجموعة من الدول.

لكن سياسة سارابوزا قد تغيرت مع رسالة الدكتوراه التي جاء بها الدكتور عاطف أبو رحمة والذي ما إن وصل سارابوزا حتى وضع دراسة متطوعًا قلبت تلك السياسة القديمة راسًا على عقب فكتب يقول:

إن تغير الظروف الإقليمية والدولية وسياسه الدول الكبرى في المنطقة والتي باتت تُفرض علينا فرضًا انتهاج النموذج الديمقراطي الفرنجي والتلويح بفرض عقوبات من آنٍ لآخر، ومن ثمّ سحْب المعونة يجعل المعارضين الخارجين عن القانون مستأسدين بهم، بل يمثلون لهم سبيلًا للخلاص وتحدي السلطات

الحاكمة والتي ستصبح بين خياريين لا ثالث لهما؛ إما الانصياع بتطبيق النموذج الفرنجي المُلحد وإما ملاحقة ومعاقبة المطالبين بها. ولما كانت معاقبتهم بالسجن أو الاعتقال وما يتبعها من عمليات استجواب روتيني يتم الترويج لها بأنها عمليات تعذيب وسحل، تصبح فيما بعد عاملًا هامًا من عوامل الضغط على الحكومة، مستغلين تعاطف الرأي العام العالمي لتشويه صورتنا، لذا فإنه يجب علينا البحث عن بدائل أخرى تمكننا من إسكات معارضينا دون إحداث أي نوع من الجلبة أو حتى دليل.

ويجب علينا تغيير السياسة الأمنية من الآن وصاعدًا بل والاعتذار من وتعويض المعارضين عما ألحقناه بهم من أذى جسدي ونفسي متبرئين إلى الله ونادمين عما أجرمنا، ولا مانع من أن تكون التعويضات بالتراضي بين الأجهزة الأمنية وأسر المعتقلين وهذا سيمثل إفقاد المعارضة لعامل التعاطف وتخفيف القبضة الأمنية شكليًا، ثم تساءل في آخر دراسته:

أو ليس المواطنين يُطالبون بالكرامة والحرية؟

فليكتبوا ما أرادوا.

لكن هل يمكن الكتابة بتسع أصابع، أو التلويح بالناقص منه تجاهنا؟!.

وضع د/ عاطف كافة التصورات في الدراسة التي بلغ عدد صفحاتها أكثر من 280 صفحة ورغم كبر حجمها، وجدت

طريقًا سريعًا لأعلى الرتب حتى استقرت على مكتب السيد وزير الداخلية، والذي بعد أن قرأها رفعها إلى رئيس مجلس الأمن القومي والذي بدوره عرضها على القيادة السياسية.

الغريب أنهم كانوا لا يحبون القراءة بل كانوا لا يقرأون من الأساس، ولذا فقد تم الاتفاق على أن تُرفع التقارير اليومية للقيادات بطريقة مقتضبة

البلد تمام. الأمن مستتب. الجيش مستقر. تم التعامل مع المشكلات اليومية من قِبل الوزراء والمسئولين.

في انتظار توجيهات سيادتكم مع الشكر...

بعد نقاش تمت الموافقة بل وإصدار الأوامر بتنفيذ كل ما جاء بها مع تولي الدكتور عاطف أبو رحمة رئاسة جهاز الأمن الفيدرالي بالإنابة، ومنحه كافة الصلاحيات لتنفيذ خطته والرجوع مباشرةً للسيد الوزير.

في أحد الأيام وبمناسبة عيد الأمن الفيدرالي، في السابع والعشرين من شهر واغل، فوجئ المواطنين بالسيد الرئيس يلقي خطابًا تلفزيونيًا:

أيها الأخوة المواطنون . لقد أصدرت أوامري بالإفراج الفوري عن كافة المعتقلين السياسيين والدينيين فلن يوجد بعد اليوم

معتقل لفكر أو رأي. نرحب بالمعارضين ومشاركتهم في بناء دولة ديمقراطية تقوم على التباين والنقد الهادف البنّاء والذي يقوّي دعائمنا وينقلنا إلى مصاف الدول الكبرى.

أيها الأخوة المواطنون..

إن الاختلاف رحمة ولحمة، والتباين سُنة كونية إلهية أثبتت أهميتها بمكان شريعتنا الغرّاء والتي أكدت أن الاختلاف فيه رحمة للناس أجمعين . وقد أصدرت أوامري إلى الوزير فورًا بدفع تعويضات لكل من أخطأنا بحقه مع اعتذار رسمي موقّع من وزير الداخلية.

سلمت سارابوزا. تجمعنا دومًا مختلفين.. متفقين في حب الوطن. سلمت لنا عقولكم التي تفكر. سلمت لنا أناملكم التي تكتب.. سلمتم جميعًا

والسلام .

كما قامت الوزارة بنشر إعلانات في كافة الصحف القومية والمعارضة معتذرة ومعلنة عن التعويض لكل مواطن بما لا يتجاوز النصف مليون جنيه سارابوزي، كدفعة أولى لبناء نوع من الثقة، واعدة بزيادة التعويضات لمن أراد.

كما أعلنت عن فتح جميع مقارها لتسجيل الأسماء واعدة بالنظر فيها مع الصرف بموعد أقصاه أسبوعًا واحدًا من تاريخ

تسليم الطلب.. مبينة أن الصرف سيكون بشيك مسحوب باسم المعتقل أو ورثته على البنك الكبير، وجاء في نهاية البيان،

مواطنينا الأعزاء..

نعلم أن المال وإن كان بالملايين فلن يغفر لنا خطأ ارتكبناه ولا جرمًا اقترفناه، ولن يعوضكم عن ثانية واحدة قضيتموها خلف القضبان بعيدًا عن الصَحب والأحبة.

ليس هذا اليوم لنا عيدًا فقد اتشحنا بالسواد ولن نجعله كذلك ما لم تكونوا عنّا صافحين راضيين.

إنه – أي المال – يمثل فقط عربونًا للمحبة وطريقًا نعبره معًا لبناء الجسر الذي لم ولن يُعبر بعد الآن على أجسادكم ولا عقولكم، بل سنعبره خلفكم متحابين متشابكي الأيدي وقبلها القلوب والأنفس والضمائر نحو

سارابوزا الجديدة..

سارابوزا التي انتظرتنا طويلًا.. فلا تدعوها تنتظر.

نعترف باننا أخطانا في حقكم لكننا وجدنا عزاءنا حيث نظرنا إلى تاريخنا الديني المشترك، فخير الخطائين التوابون.

لقد وضع كل ضابط منّا رصاصة رحمة في جيبه مُعلنا أنه سيطلقها على رأسه أمام وزارة الداخلية اليوم إن لم يتم قبول

الاعتذار. يعلمون أن الانتحار جُرم شرعي لكن أم الجرائم هي عدم غفرانكم.

وزارة الداخلية..

27 واغل 2077

ولم تمض ساعة إلا وأصدر المعبد الكبير، بيانًا شدد فيه على أهمية ما قامت به الوزارة مشكورة وبيّن في الوقت ذاته أن الاعتراف بالخطأ وعلاجه والعمل على عدم تكراره مستقبلًا لهو أول شروط التوبة التي يقبلها الله عز وجل، وإن كان هذا هو سلوكه عز وجل تجاه عباده، أفلا نتخذه منهاجًا؟!.

وأردف: إن ديننا العظيم قد قبل الديّة وأن المعبد الأكبر من هذا المنطلق وبعد اجتماع هيئة كبار علمائه قد أعلن جواز قبول التعويض، داعيًا في الوقت ذاته كافة المعتقلين وذويهم إلى عدم الالتفات إلى الماضي، وفتح صفحة جديدة مع الوزارة، إيمانًا بالتسامح الذي رفع شعاره هذا الدين، وهنأ السيد الرئيس على حكمته وتفانيه في خدمة شعبه.

سارعت جمعيات حقوق الإنسان ورجال الأعمال والأحزاب بمباركة الاعتذار، وقام عدد من رجال الأعمال بالتبرع برحلات سياحية للمعتقلين وذويهم في بلدان أوروبا وساحل الكاريبي.

وعبّرت رئيسة الاتحاد الفرنجي ووزير الخارجية الأكبر عن امتنانهما العميق لتلك الخطوة وطي صفحة أليمة في التاريخ السارابوزي، وشددا في الوقت ذاته على مساندتهما الكاملة للسلطات السارابوزية نحو الدفع بعجلة الديمقراطية، راجيين من الدول المحيطة النظر واللّحاق بالخطوة ذاتها.

الفصل السادس

حينما صحى عادل من نومه والذي كان أول فرد في سارابوزا، يخضع للتطبيق الجديد للنظرية الأمنية وجد الشاش حول يده فقام واقفًا على سريره مستغربًا. نظر حوله صارخًا على والدته

عادل: إيه اللي حصل يا أمي؟.

الأم: ألف سلامة عليك. إيه ده أنا اللي عوزه أسالك بس محبتش اصحيك واطمأننت لما لقيتك تتنفس.

عادل: يا أمي انتي هتجنيني؟ وإيه الدوا ده؟. والروشتات دي. يا الله!

أنا في كابوس ولا إيه؟.

الأم: استهدى بالله يا ابني وافتكر. انا نائمة امبارح الساعة 9 وأنت كنت بره. اتخانقت مع حد؟.

عادل ناظرًا بالأوراق.

لا التقرير ده بيقول إني كان عندي غرغرينا في صباعي. إزاي؟ امتى؟.

سأتصل بهذا الطبيب بعد ما افك الشاش.

حاول لكنه تألم وسط توسلات والدته بمنع فك الشاش حتي يتبين الأمر.

الام: اوعى يا ابني تكون بتشرب حاجة زي العيال بتوع الأيام دي.

لم يرد وأعطاها الهاتف لتطلب له الرقم.

سكرتيرة الطبيب بصوت عذب قالت بعد أن روى لها القصة إنه قد أتى إليهم بالأمس في العيادة فجرًا واحضرنا الطبيب من منزله والذي أشار بالبتر بعد موافقتك والحمد لله.

عادل: بتقولي إيه؟ بتر؟ صباعي اتقطع؟.

السكرتيرة: آه الحمد لله يا أستاذ عادل واحمد ربنا، في ناس تتقطع رجليها وأحيانا يتمنوا لو كانت انقطعت من زمان.

كانت الأم بجواره تستمع ثم بكت، لكن ما هدىء من روعتها أنه من ذهب بنفسه للطبيب، ثم قالت أنها ستقوم بعمل أكله زفر ليعوض الدماء التي نزفت منه، وحمدت الله ثم انصرفت إلى المطبخ.

كانت الساعة قد قاربت على التاسعة.. تذكر أنه مدرس للغة العربية في إحدى المدارس الإعدادية.. يعمل بالحصة ولم يقبض راتبه منذ عام لعدم وجود بند في الميزانية نظرًا لاختلال ميزان المدفوعات مع المسروقات.

كيف يذهب؟..

بل كيف يبلغ زملاءه ببتر أصبعه وهو أصلا لا يدري.

اتصل بزميل له شارحًا أنه مريض ولن يأتي وليبلغ مديرهما. تمنى له سرعة الشفاء واعدًا بعدم القلق وربما الاتيان مع حشد من الزملاء للاطمئنان عليه...

لا يصدق ما حدث.. آثار الدماء على يده.. وبجواره الدواء والتقرير.. وكذلك أكدت له الممرضة ما لحق به.

نزل سريعًا للصيدلية.. كان الصيدلي موجودًا واستقبله سريعًا:

إيه اللي جابك بس وأنت عيّان؟.

عادل: الله أكبر هو أنا جيت لك امبارح؟.

الصيدلي: ولله الحمد، آها بالأمس وكنت تجلس في سيارة أجرة بالخلف ونزل السائق بالروشة ولقد جئت إليك للاطمئنان.. ولو محتاج أي دوا تاني اتصل وأنا ابعته على البيت.

لم يرد عليه عادل بل تركه وخرج مندهشًا.

أين يذهب؟ بعد أن مشى بضعه أمتار وجد نفسه في طريق شقة ميساء.

فقد كان عندها حتى قرب الثانية عشر صباحًا بالأمس.

طرق الباب وكانت تلك هي المرة الوحيدة التي يزورها دون اتصال مُسبق.

نظرت سريعًا من العين السحرية.. استغربت ثم أدخلته على الفور وأغلقت الباب.

ميساء: في إيه يا عادل؟ إيه اللي جابك بدري كده؟ ومن غير ما تتصل كمان.

عادل: أنا اللي عاوز أسالك.. ثم بكى.

ميساء: معقول عادل يبكي! مالك حبيبي؟.

تعالي جوه في غرفة النوم.

وضع رأسه على صدرها بينما يحكي لها وكانت هي تردد كلمات والدته. سريعًا أدركه النوم.. وضعت رأسه على المخدة وغطته وخرجت لتجلس في الصالة.. وعقدت العزم على إيقاظه بعد ساعتين قبل موعد حضور والدتها اليومي في الثانية ظهرًا للاطمئنان عليها..

كانت والدتها تعرج عليها يوميًا مباشرة من السوق القريب من شقتها قبل عودتها لمنزلها.

دخلت إليه وأيقظته بعد عناء وتقبيل.. ذكّرته بوالدتها.. نهض سريعًا وودعته دامعه..

عادل.. خائفة عليك. أنت بتشرب حاجة اليومين دول؟!.

- عادل: يوه إنتي كمان تقولي كده!.

- ميساء: خلاص.. خلاص يا حبيبي ولا تزعل هتصل بيك عشان اطمن.

- عادل: آه اتصلي انتي أصلي مش هعرف اضرب رقمك أو حتى أي رقم!.

- ميساء: عادل تعالى بالليل هستناك بس يا ريت تروّح دلوقتي وتنام وترتاح... مع السلامة.

- عادل: إيدي تعبانة يمكن معرفش اكون زي كل ليلة.

- ميساء ضاحكة: لا بس تعالى أنت متقلقش.

أغلق الهاتف مباشرة ونزل سريعًا بعد أن أخذ حمامًا وقال لوالدته أنه سيسهر وربما يبيت عند أحد أصدقائه وسيتصل للتأكيد ثم قبّل يديها وانصرف.

كان ولأسباب أمنية طلبتها منه يرن عليها طوال الطريق.. تعرف ميساء الآن.. لقد نزل من بيته.. وصل العمارة.. يصعد الآن السلم.. والآن هو أمام الباب.

تفتح سريعًا.. يعرف طريقه لحجرة النوم.. تضع كيس القمامة خارجًا.. تغلق الباب.. تطفئ مصباح الصالون.. تخلع الإيذال وتعلقه خلف الباب. ثم تدخل سريعًا إلى السرير بعد أن تزيد من صوت التلفاز على قناة القرآن الكريم..

كان عادل ممددًا على السرير يمسك بهاتفه النقّال.

كان كل مرة يأتيها يقوم بعرض مجموعة من الصور والأفلام الإباحية كي يشاهداها معًا..

فأقوى ما يحرك المرأة هي الأمور التي لا تتوقعها، هكذا قالت له ذات مرة.

لم تكن تعرف من قبل معنى الشبق.. ولا اللذة.

لم تكن تعلم وظيفة للسان سوى الكلام،

ومهمة الأصابع كانت للكتابة فقط،

ولا الفم سوى مضغ الطعام.

ترقص له أحيانًا.. شرقي وربما استربتيز فقد عرفت أهمية الملابس والجسد.

وكان عادل يحب النوم معها ونور المصباح مشتعل.

وتذكرت أن زوجها كان على العكس منه..

ولذا فقد كان زوجها يشتري لها أغلى الملابس المثيرة ليشاهدها عادل.

وكان لا يتركها إلا أن تقول هي.. خلافًا لزوجها الذي يراها كحوض، يزهد به حينما يتسع، متعللًا ببرودها الذي يخفي به

عجزه عن التكيّف مع أحداث الطبيعة التي لا تُقهر، ثم يتركها مديرًا وجهه عنها.

لكن عادل كان يعانقها أكثر بعد أن تنتهي منه.

الهدف من الجنس ليس النشوة يا عزيزتي وإنما نقل الروح والحفاظ على الحياة.

ميساء: حبيبي فاكر يوم ما صباعك اتقطع

عادل ضاحكًا: كان يوم أسود.

ميساء: كنت صعبان عليا قوي وماكنتش عوزاك تنزل. بس اعمل إيه في ماما.

عادل: لا عادي.

ميساء: كنت حاسة إنك بتشرب والا مخدرات، لكن رجعت قلت لنفسي إزاي؟ كان ع الأقل سيعلمني.

عادل: الحاجات دي مش مزاجي.

ميساء: مزاج؟.

عادل شارحًا: كل واحد في الدنيا دي له مزاج .. يعني كيف أو هوى. شيء يحبه ويخرجه مما هو فيه من غم أو نكد،

فتجدين شخصًا مزاجه النساء وآخر مزاجه في المخدرات وثالث مزاجه في الخمور ورابع مزاجه المال وقليل من يجمعون بين الأمزجة جميعًا.. وأنا مزاجي النساء.

نعم النساء؟.

عادل: متفهميش غلط.. النساء هي أنتي أُمال أنا ليه بعلمك كل حاجة! عشان تكوني كل النساء في امراة واحدة.

ميساء: أنا محبتش اسألك خالص عن اليوم ده. وإيه اللي حصلك وخصوصًا إنك بعدت عني أسبوعين وسبتك براحتك لأنك كنت متضايق وبترد على اتصال وتتجاهل خمسة.

لقد مر هذين الأسبوعين على عادل كالدهر حاول جاهدًا أن يتذكر لكنه سرعان ما نسي كيف يتذكر، وبعد أن تركها ذهب إلى منزله وأسلم نفسه للنوم..

زاره عدد من أصدقاء العمل في المساء وعندما سألوه كالمتوقع ما الذي حدث.. فلم يشأ أن يخبرهم بعدم تصديقه لما حدث بل تعامل بالفعل أنه قد أصيب.

ثم أشاروا عليه أن يظل أسبوعًا آخر إن أراد في المنزل وسيتكفلون بعمله والتوقيع بدلًا منه وانصرفوا مشكورين.

تعامل عادل مع الوضع حينما سأله جيرانه ومعارفه وكذا صبي القهوة. وبدأ عادل يصدق أنه كان مريضًا ولديه جرح يستوجب المتابعة مع طبيبه فذهب للدكتور عادل أبو رحمة

وأبلغه باسمًا بأن الجرح في طريقه للالتئام، وأبلغه بأن الزيارة القادمة بعد أسبوع وسيقوم بإزالة الرباط وفك الغرز.

كما لم ينسَ أن يذكّره بأهمية تناول المضاد الحيوي في مواعيده، وكذا خافضات الالتهاب.

حينما اتصل عليه مدير المدرسة معتذرًا من عدم إمكانية الحضور،

قال له عادل: لا بس حسيت بألم جامد في صباعي ورحت على الدكتور بالليل وأشار علي بالبتر ووافقت بعد أن كان الألم لا يُحتمل والحمد لله أحسن دلوقتي.

أنا آسف لتغيبي عن المدرسة والطلبة لكن المدير عاجله:

اوعى ترجع إلا لمّا تخف متقلقش يا أستاذ عادل كلنا زملاء ولازم نشيل بعض.

نادى على والدته لتقوم بتشغيل جهاز الكمبيوتر له وبعد عناء استطاع فتح صفحة منتداه ودخل على موضوعه بعد مطالعة ما استحدث من موضوعات.

وما أن دخل حتى وجد ردًا أخيرًا على موضوعه بتوقيع العارف بالله:

أكرر مرة أخرى.. بعد قراءة الموضوع للمرة العاشرة.. أستاذ عادل.. سلمت أناملك!.

لم يدر لما نظر إلى يديه ثم دمعت عيناه

فأغلق الجهاز وخرج إلى البلكونة..

الفصل السابع

بعد أسبوعين..

وبعد أن استرد عافيته ذهب للمدرسة شاكرًا زملاءه الذين التفوا حوله مهنئين بتمام الشفاء.. شكرهم وأخذ جدول الحصص ومضى إلى فصله.

قال له أحد التلاميذ:

أستاذ عادل: الأستاذ اللي كان مكان حضرتك قال لنا اكتبوا موضوع تعبير عن خطاب الرئيس الأخير. وكان اليوم هو موعد تقييمه وقمنا بإرساله له عبر البريد الإلكتروني.

عادل: خلاص سوف أحادثه ليرسلها لي، وسأقوم أنا بتقييمها، وخلونا دلوقتي نعمل مراجعة سريعة لحد ما أنا كنت واقف معكم

عادل: احنا كنا واقفين فين يا أولاد؟.

التلاميذ جماعيًا:

عند درس جزاء سنمار

حينما عاد إلي منزله وبعد تناول الغذاء أخرج جهازه اللوحي متمددًا على سريره قارئًا لبعضٍ منها:

لم تكن تخلو أغلبها عن خطاب شيخ المعبد الأخير فلم يكن لأحد من التلاميذ أن يتقمص شخص الرئيس..

لقد بدأ عهدٌ جديدٌ بالفعل لكن عليهم عدم التعجّل.

وكانت قوانين المدارس في ذاك الوقت تقضي بكتابة الطلاب لموضوعات التعبير على وجه الخصوص من نسختين حتى يتسنى للوزارة مراجعة حُسن أداء وتقييم المدّرس والطالب وأيضًا متابعة النوابغ في الأدب لتقديمهم في برنامج سارابوزا تالانت.

فلم يكن الحكم من خلال المدرس وحده كافيًا من أجل إصلاح العملية التعليمية ..

لفت انتباهه أن أحد الطلبة قد قام بكتابة عبارة مقتضبة :

أيها الأخوة المواطنون.. هل توافقون على أن يحصل إخوانكم المعتقلون على نصف مليون جنيه؟.

والسلام

لا يدري لِما قرأ هذه الكلمات مرات ومرات

تذكّر بوذا حينما قال:

المال هو أسوأ اختراع على مر التاريخ، لكنه أكثر وسيلة موثوقة لاختبار طبيعة البشر.

ولم يدر لِما أحس بتنميل في يده و ألمًا كما لو كان السبابة في مكانه.

تعود عليه لكن هذا ألمًا من نوعٍ آخر .

ترك الجهاز وذهب للجلوس مع والدته التي كانت تشاهد قناة الأخبار الوطنية. إنهم يبثون مباشرة من أمام وزارة الداخلية حيث كانت هناك مظاهرات حاشدة لمعتقلين بـالآلاف ولقاء المذيعة مع أحدهم:

قال: أنا كنت معتقل أيضًا، لكن لم يكن هناك تسجيل لأسماء المعتقلين طبقًا لقانون الطوارئ . حقي آخذ نص مليون جنيه والّا المعتقلين ناس وناس.

وكان المئات من ورائه يرفعون أصواتهم بالموافقة على ما قاله.

كانت الداخلية طبقًا لسجلاتها تقول أن عددهم لا يزيد عن 45 ألف مواطن بالإضافة إلى 15 ألف من المفقودين، لكن عددهم الإجمالي لن يزيد عن 70 ألفًا بأي حال.

وهؤلاء هم المتواجدون في المعتقلات التي تتبع جهاز الأمن الفيدرالي فقط..

منوهين أن المسجونون من المواطنين يبلغ 5 مليون و200 ألـف، وهـؤلاء صـدرت بحقهم أحكام قضائية جنائية لا شأن لقضايا الرأي والدين بها..

تعهّد المسئول الذي التقته المذيعة بعد ذلك بنظارته السوداء وبشرته الحمراء بأنهم يعملون على حل المشكلة بالتنسيق مع وزارة

الداخلية واعدًا بحلها في غضون ساعات قلائل، منوهًا في الوقت ذاته بأن الوزارة وما يحيط بها من أماكن وإن كانت ذات أهمية استراتيجية إلا أن المكان برمته هو ملك للسارابوزيين جميعًا واهلًا وسهلًا بهم حتى وإن ظلوا أبد الدهر معتصمين أمامها.

وزاد بأن الوزارة ستقوم بتوزيع وجبات جاهزة وبطانيات إذا ما فكر المواطنون في المبيت، مُصدرًا أوامره للجنود بالسهر على راحتهم وحمايتهم..

في صباح اليوم التالي سأل عن التلميذ / حسام الدين صاحب العبارة المقتضبة.. لكن عرف أنه فقد سبابته اليمني بالأمس.

كما علم أن القيادة السياسية قررت خفض التعويض إلى مائتي ألف جنيه نظرًا لزيادة العدد..

وعلم أيضًا أن الجميع قد قابل قرار القيادة السياسية بالترحيب.

كما عرف أن المدير قد قرأ موضوع حسام الدين.

حكي لها ذلك جميعًا.. وصدّق رواية الطبيب بل أخذ يرّوج أنه ربما يعاني من زهايمر مبكر لذا فمن الأفضل ألا يرّوج هذا للناس.

وحكى أنه لم يعد يدخل للمنتديات إلا قارئ فقط

وأن اهتماماته أصبحت الآن أن يظل في أحضانها وأنها الوحيدة التي يشعر بجانبها بالأمان خاصةً وأنها امرته أن يأتيها كل ليلة ووضعت في جيبه مبلغًا من المال ذات مرة،

لكنها حكت أنها فرحت ببتر سبابته إذ أن ذلك قد انعكس على طول عضوه الذكري والذي فجأة تضاعف طولًا وعرضًا.

رفع رداءه.. فعلًا أنتي محقّة.

بعد أن تركها،

خرجت ميساء إلى البلكونة فقد كانت لا تخرج إلا في الليل حتى لا يراها أحد من المارة تنفيذًا لأوامر زوجها المسافر.

في هذه الليلة نظرت من بعيد.. تابعت محمود بتلسكوبها وفكرت لِما لا تتعرف إليه الآن!.

ثم قالت أنه يجب عليه التعلّق بها أولًا فهو في نفس الشارع خلافًا لعادل حتى تطمئن إليه.

وبعد أن أخذ رقمها وحادثها في تلك الليلة، تركته يعاني لوعته أسبوعًا كاملًا وكان يتصل وعادل موجود، لكنها تعلم أن عادل لم يكن ليسأل.

لقد أصبح عادل يعاني من زهايمر بالفعل وأصبح ملتصقًا بها أكثر ويأتيها دون موعد مسبق.. ماذا لو كان زوجها قد حضر من السفر فجأة!.

كما أصبحت هي من تتصل به أكثر لا هو. بالقطع أصبح ممتعًا أكثر بعد بتر سبابته. لكن يده اليمنى أصبحت شبه مشلولة.

بعد أسبوع قررت أن تتصل هي.. رد سريعًا من أول جرس.

الجزء الثاني

الفصل الأول

ميساء: آلو.. ازيك يا محمود.

محمود: ياه ليه كده مطنشاني.

ميساء ضاحكة: لا بس ظروف.

وتكلما حتى لم يعرفا كم صار الوقت. ولم يسمع محمود آذان الفجر رغم مكبرات الصوت وبلكونته المفتوحة، لكنها استأذنته كالعادة للرد على اتصال زوجها.

وعلم أنها متزوجة ولا أبناء لديها وعرف زوجها فقد كان من أبناء الحارة القدامى، وعرفت كم هو رومانسي خلافًا لعادل فلم يكن يهمه الجنس بل ما قبله.

قارئ جيد للشعر والرواية، بل وعرض عليها أن يوافيها دومًا بأحدث الروايات والقصص والأشعار.

كان زوجها يتكفّل بالمال مقابل عدم خروجها من المنزل فعرف أنها لا تعمل.

زوجها هو من طلب من والدتها زيارتها كل يوم، بل ومنع إخوته الرجال من زيارتها لكنه طلب منها زيارة والدته كل أسبوع مع محادثتها يوميًا.

وكان يعرف إخوته الرجال.. كثيرًا ما يراهم في الصف الأول خلف الإمام في صلاة الفجر.

أسرّ لها بأن صوتها العذب يذكّره بأحدى مطربات الفن الجميل.

ضحكت بميوعة : تحب أغني لك شوية، لكن أن أرى من بالباب، هناك صوت جرس.

بعد أن دق جرس الفسحة التقى عادل مع زملائه في حوش المدرسة.. أشاروا على بعض التلاميذ بإحضار كراسي وجلسوا بعد إرسال أحدهم لشراء بعض الساندويتشات..

على حافة الملعب حتى يتسنى للتلاميذ الجري وراء بعضهم البعض بحرية تامة، فقد كانت سياسة الدولة تربية النشء منذ الصغر على الركض في الحياة دون هدف.

حينما رفع بصره عاليًا رأى وكأنها المرة الأولى ذاك البنيان الخرساني العالي. وتذكّر مدرسته القديمة والتي كانت من طابق واحد أو اثنين بطريقة مربعة.

يقع الحوش في الوسط، وكان البناء يدل على الأمان الذي تمثله الدولة للشعب.

لكن الدولة الآن تقف عالية مشاهدة بينما الشعب يلهو.

وحتى هذا البناء العالي الشامخ لم يكن يحمي من آشعة الشمس، واستغرب كيف أنه ليس له ظل!.

أستاذ عادل مالك؟.

رد على أحد زملائه:

مفيش كنت أتذكّر مدارس زمان والمدرسة دي.

أستاذ علي: لسه فاكر.. كان زمان.

وهنا تدخّل أستاذ شهاب والذي كان يعمل مدرسًا للتاريخ:

إن النظام القديم كان اشتراكيًا كما وجد بعض الترويج من المشايخ وأن الدين هو أول من أتى بها، ولذا فقد كان تطبيق المذهب الاقتصادي الاشتراكي علانيةً ودعّم الشيوعية والإلحاد سرًا..

كانت الاشتراكية تهتم بالمضمون لا الشكل بحيث يبتعد عن الإسراف في الشكل الخارجي للمباني طبقًا لما أيّده الدين.

ولذا كانت المباني من طابق واحد يحيط بالحوش ليس لإقرار الأمان كما حكى الأستاذ عادل، بل ليرسّخ لمبدأ الشمولية.. فإن كنت تعتقد أنه للأمان فاعتقد كما شئت لكنني كسياسي أرسّخ لإبلاغك أنني حولك في كل مكان حتى أثناء اللعب.

وانطبق ذلك على كل شيء من أول الرئيس الديكتاتور حتى أصغر موظف.

ولما كانت الشمولية تقتضي الإحاطة بكل شيء، فقد تم بناءً على ذلك نشر القبضة الأمنية وزيادة عدد الضباط والمخبرين بشكل مهول إمعانًا في نقل كل شيء للقائد الشمولي.

لكن هذا بالطبع بعد وقت قد أبعد القادة عن مبدأ الشمولية .. لأنه بزيادة عدد المخبرين فقد زادت الأخبار المنقولة بطريقة أصبحت تزعج القيادة السياسية.

لكنها لم تشأ ان ترفض طريقة جمع الأخبار فاقترحت ان يتم معرفه الاخبار ذات الطبيعة الاستراتيجية مع استبعاد الأخبار الأقل أهمية. ولذا فقد كانت الحاجة إلى تعيين من يقومون بعمليه فرز الأخبار والذين أصبحوا بمرور الوقت دولة داخل الدولة، وأصبحوا في نهاية الأمر أعلى سلطة من الرئيس نفسه، يبلغونه ما شاءوا ويحجبون عنه ما أرادوا، وهذا أيضًا جعل المخابرات المعادية تلتف حولهم وتحاول تجنيدهم.

وهناك كثير حولنا منهم ربما أقرب مما تتخيل لك يا أستاذ عادل، لكنهم على أعلى قدر من الذكاء كهذا البنيان الشامخ.

إن أي غبي هو من يعتقد أن هناك رئيسًا عميلًا .. لا بالقطع بل حاشيتهم والذين مع مرور الوقت يتحولون وحوشًا للحفاظ على مناصبهم أو مكاسبهم، وربما يقومون بالتجسس عليه شخصيًا في نهاية الأمر.

يتغير الرؤساء والسياسات لكن الحواشي كما هي لا تتقهقر قيد أنمُلة.

أما الرأسمالية فهي نظام شبه خاص تتبنى النظام الأفقي والرأسي في البناء، يقوم فقط علي المراقبة والحرية، ووجدت أيضًا تأصيلًا في الدين، ولأنها تفاخر بالديمقراطية فلذا لا يجب أن تشعر بمخبريها أو لا يكون لها ظل كما قال أستاذ عادل.

فالشعب يقف تحت هذا البنيان مذهولًا لا معجبًا ومتحفزًا لا آمنًا.

وفي الحالتين قدر للشعب أن يخاف مرة بالمخبرين ومرة بالذهول والإعجاب،

لكن النظام لم يتغير في الحالتين.

سأل عادل:

أستاذ شهاب هو المباني تعكس شكل السياسة؟.

رد عليه:

بالقطع..

انظر كيف تغيّر الرسم في بلاد الفرنجة بعد تطبيق العلمانية والتخلص من سلطان محاكم التفتيش.

فقد ولد الرسم ذو الإطار كما نراه في هذه الأيام، وقبلها كان الرسم على جدران المعابد كبيرًا بدون إطار، الذي وضع لترسيخ مبدأ فصل السلطات.

سأل أستاذ علي:

بس المباني زمان كانت أحسن أمان فعلًا كما قال عادل.

أستاذ شهاب:

هذا يُترك لوجهة نظر كلٍ منا، الأمر مرتبط بحب الماضي أكثر من حب الواقع، فلو سألت هؤلاء التلاميذ بعد عشرين عامًا نفس السؤال فسيردون أنهم اشتاقوا لمدرستهم ذات البنيان العالي.

إننا نحب الماضي جدًا لأننا وثقنا أنه الشيء الوحيد الذي لا يمكن تغييره، نحبه بغضًا في حاضرنا مُجبرين لا حيلة لنا سوى كلمة لو. يسهل جدًا قول هذه الكلمات.

دق الجرس وانصرف التلاميذ إلى فصولهم.

قال أحد التلاميذ وهو يدخل الفصل لزميله:

لو.. كانت الفسحة ساعة كنا غلبناكم.

ضربه عادل على رأسه برفق باسمًا: طيب ادخل يا اخويا.

أدخله صوتها العذب بينما تغني في عالم آخر.. جزيرة في أحد البحار وبالرغم من أن محمود لا يجيد العوم ويخاف من ظله، إلا أن دراسة حديثة قد أكدت أن الرجل يشعر بالشجاعة بجوار المرأة الجميلة، حتى لو كانا وحيدين في صحراء.

وكان هذا سببًا لانتشار عمليات التجميل في هذه الفترة، ويكمن هذا في تشجيع الحكومة لها، ولذا فقد قرر الانفراد بها في هذه الجزيرة حيث لا جليس ولا أنيس سواها.

ولم يشأ أن يتخيل وجود الحسناوات يمسكن بالريش حولهما، فالظرف يتطلب الخلوة إلا مع الحبيب.

وكان الهواء شديدًا في هذه اللحظة بالذات فلا حاجة لمرواح الريش.

ولم يطلب الخمر واستعاض عنه بكوبين من الشاي الاخضر وفكر ربما لن يعجبها محدثًا نفسه إنها فرصة ولا وقت للطعام والشراب، فالعقل الذكوري يفضلها.

حكى لها عن جزيرته التي دخلها برفقتها.

قالت له ساخرة: ادخل يا اخويا ..

لم يرد وأحست إنها أحرجته فاستدركت..

آسفة والله لم أقصد، ليتنا نذهب لجزيرة معًا

رد باسمًا: خلاص، بينا..

ميساء: ماشي بس ادیني ربع ساعة أشوف حاجة آكلها وارجع لك.

وعادت موفيّة بوعدها وغاصا في التخيلات.

اسندت رأسها على كتفه بالرغم من كثرة وجود الأشجار المتلاصقة، وكانت أصوات الطيور وراءهم تغرد غير خائفة،

فقد انتبه أحد الطيور أنهم لا يحملون بنادق صيد أو حتى ملابس، فأخبر أصدقاءه.

وكان البحر متأثرًا بالقمر، ولم يشأ إحداث جلبة ولا صوت، حتى أنهما كانا يسمعان صوتهما الهامس وتسمعه أيضًا الطيور، والتي زادت من تغريدها بناءً على ذلك.

ولم يشأ أن يفكر لِما هذه الطيور جاءت لتغرد هكذا فوق الأحبة، أو ليس لها وظيفة أخرى؟.

وضع يده على شعرها بعد تردد، أزالته هي قائلة

ضعها بحرية.

وأمسك بعصا وضعها أحدٌ ما قبل وصولهما، فقد كان يعلم أن محمود سوف يستخدمها يومًا ما،

كتب بها على الرمال: أحبك.

سريعًا هكذا نطقت بها، أعلم أن الذكور يجاهدون أنفسهم لقولها لكن ليس بتلك السرعة.

ربما هواء الجزيرة المنعش قد لعب بعقلي.

ضحكت..

أمسكت بها من يده ورسمت قلبين وسهمًا بينهما،

إنه سهم كيوبيد ذاك الإله العاشق، والذي لا يصوّبه سوى لقلوب العشاق، ولم يسمع سابقًا أن أردى سياسيًا او مجرمًا أو مرتشيًا بذاك السهم.

لكن فلا شأن لنا بما قدّره هذا الإله، فليكن له ما يريد.

ووضعت اتجاه السهم ناحيتها، وهكذا كانت الأمور ترسم على الورق.

ربما كان بداعي الخجل الذي استقر في العقل الجمعي المحافظ.

لوهلة تبسمت حيث تذكرت عضو عادل الذكري بعد قطع سبابته، لكنها أبعدت هذه الوساوس مؤكدة أنه لم يصل بعد لهذا الطول واستعاذت.

أمسكها منها مره أخرى ورسم سهمًا آخر في اتجاه قلبها مباشرةً، ربما للأذين الأيسر حيث يقع مركز الحب.

أخذتها منه مرة أخرى ورسمت سهمًا أخيرًا.

نظر إليها: للدرجة دي.

قالت له ضاحكة: إنهم ثلاثة أسهم يا عزيزي إنها الحقيقة.

ثم قامت بتضخيم رؤوس الأسهم قليلًا مع رسم منصة إطلاق من ستة أحجار بيضاوية، كان كيوبيد قديمًا يستخدم جناحيه بدلًا منهما.

الفصل الثاني

اصحى يا ابني فوق.. إيه النوم ده، شكلك كنت تحلم.

قالت الحاجة أم عادل وهي توقظه.

نظر إليها مبتسمًا حين سارعت بالقول إنها الساعة الثامنة مساءً.

قام من نومه طالبًا إليها إعداد كوب تقيل من الشاي، ودخل إلى الحمام وتوضأ ثم صلى العصر والمغرب والعشاء ودخل إلى حجرته.

أمسك بجهازه اللوحي، وفتح بريده الإلكتروني لتصحيح الامتحان الشهري، ثم جلس ممددًا ليستريح قليلًا.

دخل إلى المنتدى ليقرأ آخر ما استجد.

ووجد موضوعًا في قاعة المناقشات الحرة وإبداء الرأي يقول:

كيف تنظر إلى المعارضة في ظل قرار الرئيس الأخير؟.

وكان من وضَع هذا الموضوع هو العارف بالله

وكان يقرأ الردود، والتي كانت كثيرة جدًا وأرفق كاتبه به استبيان:

إن خطاب الرئيس الأخير يمثل نقلة نوعية نحو الديمقراطية.

موافق

غير موافق

ممتنع

قام عادل بالتصويت حتى تظهر له النتيجة الإجمالية وخرجت له كالتالي:

4144 موافق

250 غير موافق

8420 ممتنع عن التصويت

وكانت الردود المعترضة حديثة بتاريخ اليوم فقط،

وكان الموضوع قد افتتح منذ أسبوع ولكنه لم يدخل ولم يعد يهتم بالسياسة أصلًا.

ومرّ سريعًا على الردود لكنه وقف عند أحد المعارضين:

أما زال البعض يعتقد أن لدينا معارضة؟.

إنها سياسة الحزب الأوحد، والفريق الأوحد وكل أوحد يساندهم شرذمة من رجال الدين، على ثلة من المنافقين، يزيدهم عددًا بالآلاف من الإعلاميين، ولكلٍ منهم مصلحته مع هذا النظام.

إنها معارضة بالاتفاق، وأقسم أن كل معارض منهم لا يتعدى حدودًا قد رُسمت له في الاعتراض. فتجدهم يعارضون نهارًا وتراهم بالليل يجمعون مقابل ما قالوه بالنهار.

أعلن أنه قد اختفت المعارضة.

أعجبه الرد كثيرًا ونزل بالصفحة فوجد العارف بالله قد اقتبس مشاركته واضعًا ردًا بسيطًا: سلمت أناملك!.

في صباح اليوم التالي ذهب إلى المدرسة ووجد جلبة في حجرة المدير بسبب حدوث أزمة بسبب توزيع حصص الأستاذ شهاب مدرس التاريخ، فقد أعلن المدير أنه في إجازه مرضية بسبب بتر في سبابته اليمنى.

خرج مسرعًا نحو طابور الصباح،

كان الطالب يقرأ بعضًا من الأخبار بعد قراءة الكتاب المقدس وحكمة اليوم.

الرئيس يستقبل السكرتير العام للأمم الإفرنجية.

رئيس الوزراء يفتتح كوبري الشيخ التكروري بتكلفة ملياري جنيه سارابوزي.

وزير التعليم يعلن أنه لا صعوبة في امتحانات الثانوية هذا العام.

المتحدث باسم وزير الصحة: وصل عدد حالات المبتورين بالسبابة إلى 8420 مواطنًا، وتهيب الوزارة بمساعدتها على

مقاومة هذا الفيروس العنيف الذي يؤدي إلى غرغرينا باليد، وذلك عن طريق غسل اليدين يوميًا بالماء والصابون.

كاد يرفع أصبعه ويقول: نسيتم حالتي والأستاذ شهاب والطالب حسام الدين لكن الطالب كان يصرخ:

تحيا جمهورية سارابوزا الديمقراطية.

تذكر أين وجد هذا الرقم سابقًا..

لقد صمت حتى لا يُتهم بالتضخيم وربما كانوا على حق.

ردت عليه ألا تلاحظ أن تضخيم الرؤوس ممتع أكثر؟

استدركت ميساء: رؤوس الأسهم فلا تُسئ فهمي يا محمود.

تبسم محمود متسائلًا: لا بجد ليه؟

ميساء: حينما يكون الرأس كبيرًا فذاك يجعل من خروجه سريعًا بعد أن يصيب أمرًا مستحيلًا.

محمود: بالفعل فهذا يجعل القلب يدمي من شدة الحب.

ميساء: من المؤكد أن هذا يجعل المرأة تسيطر على العملية بشكل كامل.

محمود: ماذا إن انتزعهم سريعًا.. الأسهم.

ميساء: هذا يجعله متسعًا بالقدر الكاف لاستقبال الأضخم.

محمود: ماذا لو جرح ونزف القلب.

ميساء: عادي فهو ينزف سبعة أيام في الشهر.

محمود: هذا يؤكد أنكي ظُلمتي كثيرًا يا حبيبتي.

ميساء: لا ليس بالقدر الكافي منذ 15 عاما فقط

محمود: ماذا فعلتي في أول مرة؟.

ميساء: كالجميع.. استعنت بوالدتي.

محمود: فعلًا الأم هي أكثر من تقف بجوار الأبناء بعد أن يتخلى عنهم الجميع.

ميساء: حقًا لكنها علمتني كيف استعين بنفسي في المرة القادمة.

محمود: هذا يجعلك قلقة حيال سهم جديد.

ميساء : لا إن كان مختلفًا عمن سبقوه.

محمود: هل أنا مختلف؟.

ميساء: لم ارَ سهمك بعد يا عزيزي.

محمود: هل تحبين أن تجربي.

ميساء: لا ليس اليوم، ما زال السهم القديم يؤلمني.

محمود: إذن أنا لست متعجل وسأظل بجوارك حتى تنسين هذا السهم وآلامه.

ميساء: من الصعب نسيانه خاصةً بعد أن بترت سبابته.

محمود: ماذا بترت..

ميساء ضاحكة: سبابة كيوبيد.

أعجبها براءته ورومانسيته وعشقه للروح لا الجسد، وهي الآن تجمع بين ثلاثة أسهم وثلاثة رجال.. أحدهما سهمًا مقدسًا لا بد منه، والآخر سهم محبوب لا عوض عنه.

وتساءلت هل يمكن أن يكونوا رجلًا واحدًا؟!.

وماذا لو عرضوا عليها أن يتم صهرهم في رجلٍ واحد؟.

أيهما ستختار ليحمل السهم المجمع؟.

سرعان ما أبعدت السؤال عن خاطرها ولم تشأ حتى أن تجاوب عليه.

أشارت على محمود بالخروج من الجزيرة فقد أصبح الجو باردًا بعض الشيء.

فقد أتى موعد حمامها الدافئ قبل مجيء عادل، وأغلقت الهاتف ومضت إلى طريقها للحمام ضاحكة..

حينما أتى عادل سالته: ماذا لو كان لنا جزيرة لوحدنا؟.

رد سريعًا: إذن فلتأخذي السرير هذا معكي.

ميساء ضاحكة: إذن سنحتاج لزوجي كالعادة.

تبسما معًا ثم أخرج لها سهمه وكان كيوبيد يباركه يومًا بعد يوم.

وهذا ما جعلها تجد صعوبة في الإجابة عن السؤال خاصةً وإن كيوبيد قد أخفى عنها سهم محمود. وأبعد سهم زوجها منذ سنتين على الأقل، ولم يشأ كيوبيد أن يجيب قبل أن يجد لها سهمًا بديلًا..

قالت له: إن بتر أصبعك قد جعلك أكثر فحولة من ذي قبل.

واكدت على ما قالته سابقًا. لم يعد يشعر بالتميل في يده واقنعته أن سبابته لم تبتر بل قاموا بإلصاقها في مكانٍ ما تحت السرة طوليًا..

أثناء وجوده، كان محمود يتصل كثيرًا مما دعاها لوضع الهاتف صامتًا وبعد انصرافه وجدت 45 مكالمة فائتة ورسالتان.

وحشتيني .. والأخرى كانت دعوة على السينما بالغد.

فكرت وقررت أن توافق، فهي لم تذهب إليها منذ آخر مرة مع خطيبها الذي أصبح زوجها، ولم تكن بنية مشاهدة الأفلام بالطبع.

كم هي جميلة قاعات السينما وإضاءتها الخافتة!.

اتصلت به وتحادثا واتفقا على أن تكون حفلة مسائية.

كانت أول مره تراه وجهًا لوجه، منذ زمن وكان هو يراها لأول مرة بوجهها الذي كشفت عنه بعد أن جلست.

وكانت ترتدي بنطلون ضيق وتي شيرت يعلوهما بالطو يعلوهما نقاب، وكتب على التي شيرت بأحرف، زاد في إبرازها صدرها الممتلئ باللغة الإنجليزية GOT MILK لم يكن لديها أطفال لكنها كانت تحن دومًا للأمومة . وكانت هذه التيشرتات قد انتشرت بعد أن أطلق أحد مشايخ المعبد المعروفين فتوى تبيح إرضاع الكبير من قبيل أن يكون محرّمًا عليها.

كانت الفتيات ترتدي هذا التشيرت في أول لقاء لها بأي شخص، وبعد أن يتم التعارف والإرضاع، تتولد حالة من الثقة بينهما، وكان على الرجال حينما يشاهدون فتاة ترتدي هذه العلامة أن يسارعوا بالدخول إلى أقرب حمام لغسل أسنانهم إعمالًا لمبدأ لا ضرر ولا ضرار.

لكن بعض الشباب المودرن قد قاموا بحمل شنطة صغيرة بها فرشاة ومعجون أسنان. إلا أن الشباب كانوا يدخلون إلى الحمام مرة أخرى لغسل بناطلهم.

استأذنها محمود في الدخول للحمام لكنها أبلغته أنها قد أحضرت سواكًا في حقيبتها فلا داعي للقلق.

كان الفيلم غريبًا من نوعية الافلام التي ينتصر الخير فيها.

قالت له: الخير دايمًا ينتصر في السينما فقط،

يصور الدنيا في فترة بسيطة.

قالت: أتصور أن هذا إحباطًا للمشاهدين. كانت تتكلم بلسان عشيقها عادل وكان محمود رومانسيًا بحتًا.

لكنه قال: لا تنسين الطبيعة يا عزيزتي فلها الكلمة العليا.

اعطته السواك ثم قامت بإخراج صدرها الأيسر بعد أن نادى عامل السينما في المكبّر:

سيداتي سادتي، على جميع السيدات الذين يقابلن رجالًا لأول مرة إخراج صدورهن اليسرى ثم نتابع الفيلم بعد استراحة مرضع..

لكن فترة الاستراحة قد طالب البعض بجعلها نصف ساعة، حيث كان أكثر المتواجدين ممن فطمتهم أمهاتهم على سبعه أشهر.. وكان محمود أحدهم.

كان الفيلم يحكي قصة امرأة متسلطة بجمالها توقع كل من يقابلها، كم اختطفت أزواجًا، وكم لوعت من شباب، تراهم جالسين على المقهى والذي لابد أن يتواجد مقابل شقتها، ولا يخلو فيلم كالعادة من رقصتين ومشاجرتين، وأغنيه وسيجارة ومواجهه بين فحلين..

تبسمت ميساء في سخرية: لقد كانوا ثلاثة من الفحول.

كانت سارابوزا وبقوة تدعّم الفن والفنانين، وحكى أحدهم أن الرئيس قد عُرض عليه اقتراح لتغيير اسم الدولة إلى جمهورية سارابوزا الفنية.

لكن قال إن الوقت سابق لأوانه لمثل هذا التغيير.

أنفقت فيها المليارات وعالجت فيها الفنانين على نفقتها في الوقت الذي كان يمنع عبد العليم من نزول الترعة كعلاج وقائي لا تخسر فيه سارابوزا قرشًا واحدًا.

وفي الوقت الذي يجد فيه أي مواطن صعوبة بالغة في لقاء أي مسئول، كانت أرقام الخطوط الساخنة للسيد المسئول لدى معظم الراقصات.

فالعلاقة قديمة بين الفن والسياسة منذ تمّ استخدامها من قِبل جهاز الأمن الفيدرالي عن طريق الدعارة للحصول على أسرار الدول المجاورة، واستخدمتها لذلك الدول الأخرى لتجنيد آخرون لدينا.

فالجنس سكين ذي نصلين لا يمكنك استخدام أحدهما إلا إذا ترك عليك الجانب الآخر أثرًا يا عزيزي.

هكذا ردت ميساء..

وكان الفن يأخذهم في ريعان الشباب حيث الجمال والفتنة فيعريهن ويرقصهن، ثم بعد أن يذهب.. يذهبن هم أيضًا إلى

الشاشة الصغيرة ليقدمن المسلسلات، والتي تحكي قصصًا عن سيدات سارابوزيات أصيلات وذوي مبدأ، يقدمن قضايا رأي عام، صابرات على غدر الزمان.

فالتلفزيون هو المواطن البسيط والسينما هي الشاب المراهق.

وأفسح لهم المجال للمعارضة المقننة حتى يسحب الفن شحنات الكبت الشعبي بالتنسيق مع الأجهزة الأمنية.

تذكرت ميساء هذا الحوار حينما عرضت على عادل أن يصحبها للسينما، لكنه رفض.

وضعت يدها في يده واستندت على كتفه لكنها سرعان ما ابتعدت فقد أُضيئت المصابيح إيذانا لفترة من الراحة وإكمال الرضاعة.

إنهم يحرصون على إعطاء المواطن قسطًا من الراحة في دور السينما، ولا يسمحون له بعشر دقائق لأداء الصلاة.

استأذنت لتدخل إلى الحمام وأتتها الفرصة لشراء كيس من الفشار. كان الكيس قد تغيّر في شكله بعض الشيء فقد أصبح كبيرًا وقرطاسيًا ومفتوحًا من الجانبين.

أعطته القرطاس فقام بوضعه على حجره. أدخلت يدها وابتسمت وتناسى هو أكل الفشار..

حينما أُطفئت الأنوار تذكّرت عادل.

الفصل الثالث

يعني مفيش أمل؟.

قال لها: حينما تجلسين في قاعات مكيفة لمشاهدة فيلم وملايين الطلاب يفترشون الأرض فلا أمل.

عندما تأخذ الدولة على عاتقها إقامه حفلات حتى الثانية صباحًا ولا توجد دراسة ليلية بالجامعات لمن استحالت ظروفه فلا أمل.

عندما يعطي العاهرات ملايين في ساعتين ويُعطى العامل البسيط مائة وعشرين في الشهر فلا أمل.

عندما يُعطى أحدهم مئات الآلاف لقاء ظهوره في برنامج ولا يُعطى مثلها لفقير حكى عن مشكلته فلا أمل.

حينما يقدم الزاني والحشاش والمدخن والبلطجي نموذجًا لفارس الأحلام فلا أمل.

حينما يتم الترويج لإجبار الفتيات على تقديم مزيد من التنازلات من أجل الستر فلا أمل.

حينما يتم التماس الأعذار للمومسات ويتم إعدام الشيوخ فلا أمل.

أو أليس الفن مرآة للمجتمع؟!.

حينما يتم حماية الملكية الفكرية للقصة القصيرة ويُترك العلماء للهجرة والقتل فلا أمل.

حينما تطلق الدولة قمرين للقنوات الفضائية ولا تطلق قمرًا للتجسس فلا أمل.

حينما تبني الدولة مدينة للإنتاج بمليارات الدولارات وتهدم مشروعًا لإنتاج الصواريخ فلا أمل.

كفاية، كفاية بقى..

انتبهت ميساء وكأنها صحت من كابوس لكن محمود اعتذر لها وأعطاها منديل وأعاد سهمه للداخل مبلولًا.

تمنت ميساء التريض خارجًا قبل العودة لمنزلها، فهي تشعر منذ فترة برغبة متكررة بالنوم وصداع وغيثان من الروائح النفّاذة كرائحة إفرازه هذا.

همّم بالخروج معها لكنها شكرته وقالت إنها ستخرج بمفردها فربما قابلت مسكينًا في الشارع إذ أنها إحدى عضوات جمعية إرضاع الغريب، كما أن اشتياقها لذلك النوع من الصدقة قد أصبح يسيطر عليها.

قالت مبتسمة بينما تنظر عاليًا.

لم يكن الفيلم قد انتهى.. عاود محمود الجلوس

كانت البطلة تقف أمام والدها بشجاعة منقطعة النظير قائلة.

لن أتزوجه، واللي معاك اعمله بدال ما اهرب، أو اولع لكم في نفسي.

رد محمود: في داهية، لكن والدها قال:

لا يا حبيبتي الدين قال لازم توافقي وأنا راجل بخاف ربنا.. ادخلي اوضتك يا بنتي، ربنا يهديك، ومتتأخريش تاني للفجر كده.

دخلت البطلة إلى حجرتها وهي تقول: أوف إيه القرف ده، امتى ارتاح من وشكم وابقى حرة.

لكن والدها سمعها فقال لها:

خلاص يا بنتي اعملي اللي يريحك واهو بالمرة وأنت جاية الفجر تصحيني للصلاة.

ضحك محمود وكذلك الحاضرين مما أغضب المخرج ودفعه إلى أن يجعل الوالد يجلس باكيًا قائلًا بصوت عالي:

أنا السبب أنا السبب!.

تأثّر الحاضرون وسمع محمود شخصًا في اللوج يقول: أيوه أنت السبب يا عم.. خليك راجل شوية.

هنا اغتاظت إحدى الحاضرات وردت قائلة:

وانتوا مالكم.. أما صحيح قلة أدب.. هي حرة.

آثر محمود الخروج قبل أن يرضخ الرجال لرغبة سيدات السينما..

حينما وصلت إلى منزلها اتصلت بعادل وحكت إنها كانت في السينما لكن برفقة والدتها، وحكت كم عاشت معه وذكرته بكلامه عن الفن والفنانين.

ضحك وأشارت عليه بالمجيء لكنه اعتذر فهو لم ينم بعد الظهر كعادته فهو يشعر بالنعاس،

لكنه قبل أن يغلق الهاتف قال لها:

حصلت حاجة غريبة النهاردة في المدرسة وافتكرتك أيضًا

ميساء: خير يا حبيبي!.

عادل: كنت لسه داخل غرفة المدرسات سمعت وأنا على الباب مدرسة عندنا مرات مدرس التاريخ الأستاذ شهاب، فهي أيضًا تعمل مدرسة للغة الإنجليزية.

ميساء: آه كانت بتقول إيه؟.

عادل: كانت بتقول لصاحبتها تعرفي أحسن حاجة حصلت لشهاب إن صباعه اتقطع من يومها حاسة بجد إنه تمام في السرير.

ميساء ضاحكة بصوت عالي: مش قولت لك.

عادل: غريبة قوي، افتكرتك ساعتها كنت حاسس إنك بتكذبي ولا بتطيبي خاطري.

ميساء: لا بجد يا عادل إنت بقيت جامد.

عادل: خلاص بقى أنا هقفل وهجيلك بكرة.

ميساء: منتظراك يا أبو صباع مقطوع، وأغلقا الهاتف بالضحكات.

الفصل الرابع

تزايدت حالات البتر والحوادث الغامضة مع انتشار لشائعة زوجة شهاب وميساء وتأكيد وجود الفيروس الغامض.

فكما قال عالم النفس روبرت ناب..

الشائعة تنقل بالفم لتحوي معلومات غير رسمية لكنها تعبر عن احتياجات مكبوتة للشعوب، لكن المشكلة الكبرى إذا ما قامت الدولة بترويجها.

وسمع ضباط الأمن الفيدرالي تلك الإشاعة التي انتشرت من أفواه زوجات المبتورة سباباتهم لكنهم إلى الآن لم يتسنَ لهم التأكد.

تم إيصال المعلومة للدكتور عاطف أبو رحمة

لم يصدق وقال:

الستات تعبانة بس ونفسهم الرجالة يكونوا كده.

ضحك الضابط: يمكن صحيح يا افندم هو صعب إننا نتأكد؟.

الدكتور عاطف:

لا، بس أنا مشغول قوي الأيام دي، ابقى فكرني بعد يومين بالليل.

وبعد يومين قرر الدكتور عاطف زيارة عادل فهو أول خاضع لعملية بتر السبابة، لكنه تذكّر إنهم لم يعرفوا طول عضوه الذكري سابقًا لعملية البتر، فالزيارة لن تكون مجدية، لكنه بعد تردد قرر زيارته ليلًا.

وبعد انتهاء الزيارة وما إن وصل إلى مكتبه حتى أصدر أمرًا بتصوير العضو الذكري وقياسه قبل عملية البتر.

كما أصدر قرارًا لوزير الصحة بالعمل على قياس الأعضاء الذكرية للمواطنين المبتورة أصابعهم والعاديين من الذكور في المستشفيات الحكومية والخاصة كنوع من إجراءات الكشف الروتيني العادية.

كان على الطبيب أن يحمل سماعة وجهاز ضغط مع الاستعاضة عن الكاميرا بهاتفه النقّال ومازورة ليقيس الطول، ومن ثم بعد انتهاء عمله يقوم بتفريغ الصور في الكمبيوتر الخاص بالمدير.

استغرب المواطنون الذكور من هذا الإجراء الجديد، لكن الاطباء بإيعاز من الوزارة أقنعوهم إن الدولة تقوم على تطوير أحد الأدوية والتي سوف تدعمها رغبة منها في زيادة الفحولة لدى رجال سارابوزا، وخاصةً بعد أن أطلعوهم أن الذكور في الدول المتقدمة أصبحوا على شر ما يرام، وأكد ذلك تناقص

عدد السكان وسوء سلوك الزوجات، وفي ذلك بلاء كبير إن حل بنا فسوف يقضي على الجنس السارابوزي المميز في المنطقة.

شكر المواطنون الـوزارة وممثليها، وانصاعوا للكشف بل وسرعان ما انخفضت مبيعات الملابس الداخلية من بوكسر وخلافه.

حينما حكى الأزواج الذكور لذويهم قالت إحدى السيدات العاملات في جمعية حقوق المرأة:

لِما لا يتم تطبيق القياس علينا أيضًا. أو سيمكن للرجال الحفاظ على النوع السارابوزي بمفردهم

تمييز عنصري بغيض!.

ووصل الامتعاض حتى استقر عند رئيس الوزراء والذي هاتف الدكتور عاطف أبو رحمة موبخًا.

قال عاطف: احنا هنقيس إيه عندهم يا افندم؟

الحكاية مش تمييز والله.

رئيس الوزراء:

يا دكتور قيس أي حاجة. خلصنا من زنهم، اتصرف القيادة متضايقة.

أغلق الهاتف ثم قال لنفسه:

ليها حل..

تكاثرت الشكاوى لدى موظفين الاستقبال والطوارئ من وجود كثير من الفتيات.

كان الموظفون يحولونهم للأطباء الذين يدخلون معهم في مهاترات ثم يقنعونهن بالمجيء غدًا ريثما يأتي مرسوم.

جاءه تليفون برقم غير ظاهر وكان المتصل هو السيد الرئيس شخصيًا.

إيه يا دكتور البلد على صفيح ساخن، ووزير الخارجية الأكبر لسه قافل معي، يقول إنه فيه شبه تمييز وإن حق القياس يكفله الدستور للذكور والإناث.

اتصرف وقدامك 24 ساعه بس، يا أخي قبل ما تصدروا قرارات ادرسوها الأول عشان وجع الدماغ، وأنا مش عاوز أزمات عالمية وتشويه لصورتنا، خصوصًا بعد إلغاء الاعتقالات واحنا ما صدقنا صورتنا تتحسن شوية.

سلام.. وأغلق الهاتف مباشرةً.

فكر قليلًا ثم عاود الاتصال بالسيد وزير الصحة ورغبة من الوزير في إيجاد حل، أشار بأن يتم الكشف الظاهري على الإناث وخلاص، إلا أن عاطف قال:

لا بل ممكن نقيس العمق يا افندم.

عمق الحوض وكلما زاد اتساعه زاد ذلك من نقاء السلالة.

حدثّه وزير الصحة بتخوفه من الموضوع في مجتمع محافظ، إلا إن الدكتور عاطف قاطعه مؤكدًا تكفّله بإزالة جميع التخوفات، منوهًا أنه سيرسل مرسومًا وعليه إبلاغ جميع القطاعات الصحية، كان المرسوم يقول:

إيمانًا من الدولة بانتهاج سياسة المساواة بين الذكور والإناث فإن وزارة الصحة تهيب بالمواطنات التوجه إلى أقسام الطوارئ القريبة، لقياس عمق العضو الأنثوي العزيز، ولما كان القياس سهلًا لدى المتزوجات والأرامل والمطلقات، فإن الوزارة تترك للفتيات وأولياء الأمور والجهات الشرعية الدينية، مسئولية تقنيين طريقة القياس للعذراوات، في سبيل هدفنا للحفاظ على الجنس السارابوزي العظيم.

وتم نشر المرسوم في كافة وسائل الإعلام مما حدا بالمواطنات إلى سرعة التوجّه إلى غرف القياس بأقسام الطوارئ.

كان الموضوع بالقطع سهلًا على المتزوجات والمطلقات والأرامل، لكن المشكلة تكمن في العذراوات، واللاتي أبدين رغبتهن في القياس.

وكان عاطف أبو رحمة ذكيًا بالقدر الكافي ليرمي الكرة في ملعب شيوخ الدين وأولياء الأمور، وأيضًا ينفذ تعليمات الرئيس سريعًا.

لكن شيوخ الدين انقسموا فريقين أحدهما وهو الأكبر يمتنع عن إباحته في المطلق، لكنه يشدد على إباحته بعد الزواج، والفريق الآخر الأقل عدد هو المعتدل المقرّب من النظام الحاكم والمتنقلين بين القنوات الإعلامية بحرية تامة، قاموا بتأييد القياس لِما فيه من تغليب لمصلحة الوطن، انطلاقًا من أن الضرورات تبيح المحظورات، منوهين بأن يكون القياس في حضور ولي الأمر أو الزوج، بشرط أن يكون عاقدًا لقرانه وأن تُعطي الفتاة شهادة تثبت عذريتها قبل القياس.

لكن شيخ المعبد الكبير التزم الصمت كعادته.

وللحق فان الفريق المعتدل قد استهوت آراءه الفتيات، نظرًا لقلة ظهور رموز المعترضين في وسائل الإعلام التي سيطر عليها جهاز الأمن الفيدرالي، ولذا فقد امتلأت غرف القياس بالفتيات والسيدات وكان الأطباء كثيرًا ما يفاجأون بفتيات في سن التاسعة قد جئن للقياس.

لكن الدكتور عاطف أصدر مرسومًا آخر قال فيه:

منع القياس لأقل من 17 عامًا.

عندما سالته إحدى الفتيات على التلفاز قال ضاحكًا:

لا تتعجلي يا اختي. هيجي الدور عليكِ، لكنه همس إلى مذيع البرنامج والذي كان يعتبر نفسه محاورًا جيدًا:

لو خلينا البنات في سن التاسعة والعاشرة يقيسوا فده اعتراف ضمني مننا بأن البنت ممكن تتزوج في السن ده، وهذا يؤيد ما يقوله المتشددون الأصوليون.

لم يكن أحد ليقدر تبعات مرسوم إباحة القياس للإناث مهما بلغ مقداره من الذكاء ولا حتى الدكتور عاطف أبو رحمة شخصيًا.

فقد حدث كل شيء سريعًا دون إعطاء فرصة لالتقاط الأنفاس أو التقييم وكأنها ثورة.

لما كان القياس عن طريق آلة أسطوانية الشكل كما في غرف الولادة لكنها من البلاستيك المعقم .. فقد صورت فتاة هذه الآلة في غفلة من الطبيب وقامت بنشرها على الإنترنت وكتبت تحتها عبارة مقتضبة تحت الصورة.

كم من عذاب سببته هذه اللعينة لي وقطرات كثيرة من دماء، لكنني سأتحمل من أجل الجنس السارابوزي.

وكانت هذه التغريدة بمثابة النار في حقل من القمح الناضج.

خافت العذراوات كثيرًا. إنهن يخافن من ليلة الدخلة، فكيف بهذه الآلة اللعينة.

لكن أحد الشباب رد عليها بتغريدة.

عزيزاتي الأخوات الفضليات.. كنتن سابقًا تنزفن الدم من أجل متعتكن، لكنكن اليوم تنزفن من أجل الوطن.. أفلا يستحق الوطن بضع قطرات من دماء.

لكن رد عليه مواطن ليبرالي: الحمد لله لقد علمتم فائدتنا، وأننا أرحم عليكن من تلك الآلات اللعينة.

مما حدا بأحد الليبراليين لإنشاء جروب المساعدة على القياس دون ألم والتباس.

حيث كتب في خانة الوصف:

إن كنا قد وضعنا أعضاءنا من أجل الوطن للحفاظ على الجنس السارابوزي العظيم، فإنه يتوجّب علينا ألا نكتفي بهذا الدور البسيط، وعلينا مساعدة الفتيات على التأقلم مع معاناة الآلة اللعينة، ومن هذا المنطلق فأننا ندعو كافة العذراوات إلى طلب المساعدة من الشباب الذكور، وهذا ربما يساعد في الذهاب للقياس كالمتزوجات حيث لا ألم ولا دماء.. هل سمعتم عن متزوجة أعلنت عن معاناتها أو أبدت تخوفًا؟!.

تم إنشاء كثير من الجروبات والتي كان يدوّن فيها الذكر اسمه وعنوانه ورقم هاتفه وصورته مع الأماكن التي يتواجد فيها، وتقدير مبدئي يظهر كم من العذراوات يمكنه مساعدتهن. من أجل الوطن بالطبع..

تراوحت التقديرات المبدئية طبقًا للمسح الذي أجراه الجهاز القومي للتعبئة والإحصاء، بأن الذكور الوطنيين قد عرضوا في المتوسط القدرة على مساعدة أربعة من العذراوات، وإن لم تخلُ التقديرات من زيادة عن ذلك، لكنها كانت منحصرة في شريحة الذكور المتمركزين في جنوب البلاد.

كانت الفتيات تتصل بالذكور وتذهب إليهم مما جعل كثيرًا من أولياء الأمور الوطنيين يتركون المنازل ساعات متروضين في الشوارع وربما هذا قد خفف كثيرًا عن المتزوجات واللاتي لم يكن يخرجن إلا في المناسبات، وهي بالأصل قليلة تتزامن مع الأجندة الرسمية للأعياد الوطنية.

لكن بالنسبة للعذراوات المحافظات فقد تم تدشين جروبات إسلامية قُلن فيها بترحيبهن بعقد القران دون صداق إلا من حبات قليلة من التمر، عارضين عدم ممانعتهن في أن يكن زوجات ثانيات أو حتى رابعات ولا يشترط توفر المسكن.

لقد زادت حالات الزنا والـزواج أيضًا وبنسب متعادلة لأول مرة، كما لم يعد ينظر أحد إلى حالات التعدد ولا الزنا كونها قضايا مجتمعية، فكل شيء يهون في خدمة الوطن.

لقد خرج أحد المتشددين على إحدى القنوات ممسكًا بتقرير الجهاز المركزي للإحصاء قائلًا : هذا التقرير يؤكد أن لكل رجل الحق في أربع نساء وهذا أكبر دليل على فائدة التعدد.

كما قال الليبرالي والذي كان يجلس بجواره أن العدد المتزايد من الفتيات المتفتحات واللاتي قمن بممارسة الجنس من أجل التميز، يؤكد على أن اتباع سياسة إقصاء المرأة سابقًا كانت خطأً فادحًا أظهرته وطنيتهن التي فاقت كل الحدود.

كما زاد المتشدد: الحمد لله فقد استطعنا للمرة الأولى الزواج دون تكاليف باهظة، مع توفر السكن وأيضا لدي زوجة جميلة وموافقة على أن أتزوج بغيرها من أجل الوطن.

لكن رد الليبرالي: لم تعد لدي رغبة في التسكّع فيا لخدمة الوطن.

كان الدكتور عاطف أبو رحمة يشاهد البرنامج وعلى كتفه تستند بقميصها ذي اللون البني الفاتح بينما يداعب شعرها والتي كانت تضحك وقالت:

أنا فرحانة بالبنات الليبراليات دول.. لكنه أطلق ضحكة عالية وقال:

بل افرحي يا عزيزتي فقد ارتحت اليوم من النقد،

ألم يصبحوا كلهن..

ضحكت ثم قالت:

بحبك يا شيطان..

الفصل الخامس

كانت الاستخبارات الفرنجية تسجل ما يحدث بدقة أولًا بأول من مصادرها السرية، غير مصدقة لِما حدث، فقد كانت التقارير تشير إلى فرحتهم حِيال إبداء المجتمع السارابوزي ترحيبًا للحرية الجنسية، لكنهم في ذات الوقت أعلنوا قلقهم نحو زيادة حالات تعدد الزوجات.

فقامت الاستخبارات بناءً على توصية بعد دراسة متعمقة بنشر المعلومة التي وصلتهم من خلال دراسات دلل عليها عدد من الأطباء الفرنجيين المشهورين عالميًا مفادها:

إن بتر إصبع السبابة الأيمن يزيد في طول وقوة العضو الذكري لدى الجنس السامي فقط، وقد وجد بالتجربة القاطعة أنه كلما زاد عدد الأصابع المبتورة، كلما زاد هذا من طول العضو وفاعليته. لكنه دعا في الوقت ذاته الشعوب غير السامية بعدم الأخذ بالدراسة حتى يتسنى لهم التأكّد بدراسات أخرى قريبة جدًا من قدرة جيناتهم على اتباع طريق الجنس السامي.

لأول مره منذ زمن يصبح فيه الوطن متكاتفًا بهذا الشكل بين جميع قواه العاملة وانعكس هذا على جهاز الشرطة، والذي صرّح

أحد قياداته أنه لم يتم تسجيل أي جريمة في الأسبوع المنصرم، بل وأظهر البث المباشر من أحد مديريات الأمن خلوها من المواطنين وحتى الضباط .

كما قام وزير الصحة بالاتصال بالدكتور عاطف أبو رحمة مبديًا امتنانه العميق، حيث أنه قد ساعد في الحد من ظاهرة تسرب الأطباء من النوبتجيات.

لم يعودوا منشغلين كثيرًا بقضية زيادة الرواتب، كما أن المرضى تناسوا أيضًا أخطاءهم، بل حتى وأنهم مرضى.

حتى أن مريضًا للغسيل الكلوي قال للوزير ورأسه لأسفل:

مش مشكلة نغسل يا ابني. المهم الوطن.

ضحك عادل حينما سمع ميساء تقول:

آلو فينك يا حبيبي. تحب أقطع لك صباع تاني

عادل: لا خلينا كدة شوية.

ميساء: طب تعالي ونبقى نتفق على الميعاد.

وضعت الهاتف جانبها وقامت نحو البلكونة إلا أن صوت الرسالة قد أعادها مرة أخرى.

فتحت الرسالة:

ميساء أنا بفكر أقطع صباعي.. محمود.

تبسمت وهمست لنفسها: لا بل ظل كما أنت.

تذكّرت شيئًا وعادت للهاتف وكتبت:

لا يا حبيبي انتظر الدراسات القادمة.

رد عليها: ممكن اشوفك؟.

لا خليها حتى يتسنى لنا التأكّد.

رد عليها محمود: مش فاهم!.

لكنها كانت قد تركت الهاتف وذهبت لأخذ حمامها الدافئ ريثما يأتي عادل.

وحينما وصلت غرفتها كان تليفونها الخاص مُضاء حيث اتصل زوجها ثلاث مرات على غير عادته.

اتصلت به ولم يرد ليعاود الاتصال.

عبدالله : آلو ازيك فينك؟!.

ميساء: أهلًا يا عبد الله خير في إيه قلقتني؟!.

عبدالله : لا مفيش بطمن عليك.

ميساء: مش عادتك في حاجة؟.

عبد الله: لا، ميساء إنتي روحتي قستي؟.

ميساء ضاحكة: لا والله لسة.

عبدالله: ليه؟.

ميساء: كنت استأذنك الأول طبعًا بس الأيام دي زحمة خالص وأنا قلت لما يهدى الجو.

عبد الله: بقولك، ابقي خدي أمك معاكي.

ميساء: الستات الكبار لا يقمن بالقياس، ثم ضحكت.

عبد الله: عارف يا ستي وأنا متابع الأخبار بس أمان ليكي.

ميساء: حاضر، تؤمر بشيء تاني؟.

عبد الله: الأمر لله تسلمي، أنا هبعت لك حوالة بكرة على نفس البنك.

ميساء: ليه كده، الفلوس لسه معايا من الشهر اللي فات، ربنا ما يحرمني منك ويرزقك.. آلو، آلو.

كان رصيده قد نفذ.

فلم يسمع دعواتها له بالرزق وطول العمر وربما الغياب أيضًا.

وكانت قد ذهبت للتسوّق قبل يومين مع والدتها في أحد محلات الملابس الداخلية المشهورة. لم تكن تنوي شراء أي شيء، لكن والدتها كانت تحب مشاهدة أحدث ما توصلّت إليه تكنولوجيا الدلع والإثارة.

رأت بالصدفة قميص نوم ضيق قصير جدًا وشفاف بعض الشيء لكنه كان بألوان العلم السارابوزي.. ضحكت وتفاجأت في نفس الوقت.

قالت أمها ضاحكة: هما عملوه عشان الضباط البنات ولا إيه؟!.

ميساء باسمة: لا يا أمي مفيش عندنا ستات ضباط.

الأم: أمال إيه ده. بس تعرفي يا ميساء شيك قوي وغريب يجنن.

ميساء: اشتريهولك يا ماما؟.

الأم : أعمل بيه إيه يا حسرة؟!.

ميساء ضاحكة بصوت عالي: خليه عندك أهو ينفع في الأعياد الوطنية.

الأم : لا اشتريه وخليه عندك لما يجي جوزك.

ميساء: جوزي!.

لن يعود يا أمي هكذا تهمس لي.

مين؟ إن شاء الله يرجع بالسلامة.

لا عليك.. لكنها تذكرت عادل فقامت بشرائه على الفور.

حينما أتى عادل لم يكن ليراه بالطبع إلا حينما تدخل لغرفة النوم وراءه. وما إن خلعت الإيذال حتى انفجر في الضحك:

تعالي يا سارابوزا.

الفصل السادس

على الرغم من أن الشباب كانوا يدخلون على الإنترنت لكتابة الرد والمشاركة في موضوع القياس الوطني، إلا أن جهاز الأمن الفيدرالي لم يعد قادرًا على بتر السبابة، وأصبح الشعب منتبهًا هذه الأيام، فأولياء الأمور في الشوارع والفتيات والشباب في البيوت ونصف الشعب الآخر في أقسام الطوارئ.

قال الدكتور عاطف أبو رحمة:

أريدكم أن تروجوا لما قاله الأطباء الأمريكان، وعاوز 25 طبيب جراحة من مستشفيات الشرطة يأخذوا أجازة ويفتحوا عيادات لبتر الأصابع.

رد أحد الضباط: يعني يا افندم نخلي الشباب يقطع صوابعه.

رد عليه: احنا نقطع هما يقطعوا.. النتيجة واحدة يا حضرة الضابط. وان بتر السبابة سيصب في طريق إنتاج جنس سارابوزي قوي بالتزامن مع عمق الحوض الأنثوي.

ونتيجة لقيام الدولة في جهازها الفيدرالي بانتهاج البتر، فقد كان هذا كفيلًا ليوحي للعامة بأن البتر خيار استراتيجي.

بعدها بشهرين تم تطبيق القرار في المستشفيات الحكومية مع إمكانية إجراء البتر في العيادات والمستشفيات الخاصة، بشرط إرسال النتائج والإصبع المبتور للوزارة.

راحت إحدى القنوات الفضائية تتغنى وهي تبث مباشرة من إحدى المستشفيات مبينة حجم الطوابير، ورغم وصولها إلى نحو كيلو مترين، إلا أن الهدوء كان يخيم عليهم، وللمرة الأولى لا تكون هناك طوابير أمام الأفران أو لأسطوانات الغاز.

كانت الكاميرا تركز على الرجال كبار السن والمصابين، حتى إنها وقفت نحو خمس دقائق مسلطة الضوء على رجل في الثلاثين أتى للقياس والبتر محمولًا على خشبة كونه مصابًا بالشلل النصفي.

وقالت المذيعة: مش هتكلم وهي تدمع.. انتهى البرنامج وأُنزل التتر على أنغام.. عظيمة يا سارابوزا.

لكن التركيز الإعلامي كان بمثابة رسالة إيقاظ أبناء الوطن في الخارج، لكن بعضهم كان قلقًا حيال عدم زيادة طول أعضاءه التناسلية، في الوقت الذي كان تاركًا لزوجته في الأراضي السارابوزية.. دون ترك أقفال على أحواضهن.

ولعل أكثر من تضرروا من هذه التغطية الإعلامية كانت شركات الأدوية الجنسية ولم تعد القنوات تروج لها نظرًا لانصراف الشعب عنها،

مما جعل إحدى الشركات تعلن:

أيها الشعب العظيم. إن شركة الفحولة الوطنية تعلن عن تحمّلها تكاليف بتر السبابة لدى خمس وعشرون من الأطباء بالمجان، مقابل شراءكم لعبوة كريم الأرنب الزاحف ثلاثي الأقدام.. والعرض متوفر إلى أجلٍ غير مسمى.

وكان محمود قد حصل على عبوة من الكريم مع تحمّله لمصاريف الشحن.

وقررت السفارات السارابوزية في أنحاء العالم فتح المجال أمام عمليات القياس فقط، بعد أن صدّق مجلس النواب واصدر مرسومًا بذلك، على أن يتم إرسال نتائج الفحص بسرية تامة من الكمبيوتر الخاص بالسفير حتى لا تقع في أيدي الدول المعادية.

لكن موضوع البتر شغل المغتربين، كان ذلك نتيجة للتخوّف الذي أعلنه بعض الشباب المغتربين في الاجتماع الأسبوعي للجالية في تلك الحديقة الكبيرة، والتي قامت السفارة باستئجارها من أجل رعاياها مقابل أجر رمزي زهيد في دولة مجاورة حيث قال أحدهم:

إنه يخشى على زوجته هناك من تغيير مزاجها بعد بتر الشباب لأصابعهم.

وقال آخر:

إننا لسنا أقل وطنية من السارابوزيين بالداخل، وعلى السفارة أن تجهز عيادة جراحية متنقلة لبتر السبابة، حتى لا يكون المغتربين بمثابة الجراثيم إذا ما قرروا العودة والاستقرار في أرض الوطن.

وما كان للسفراء أن يبتّوا في موضوع كهذا دون موافقة القيادة السياسية بالداخل.

وحينما وصلت التخوفات إلى رئيس جهاز الأمن القومي، قال أنه من الأفضل مساندة سفر الزوجات، فعلى الأقل سنتخلص من مشكلات مليونين آخرين.

وقال إن موضوع البتر ربما يصطدم بقوانين البلاد التي يتواجد بها السارابوزيين، وهذا أمر يستطيع حلّه السيد الرئيس ولا أحد سواه.

لكن الرئيس معروف بكبريائه وعناده وقلما يطلب خدمة من أي دولة أخرى، إذ أنه يتحرّج دومًا في طلب المعونة.

ولكننا يجب أن نطلِع فخامته على الموضوع.

كان وزير الخارجية يستمع وقرر زيارة الدكتور عاطف ليجدا حلًا سريعًا.

وقبل زيارته جاءه اتصال من السفيرة الفرنجية داعية إياه لمقابلتها على الفور في إحدى الفيلات.. كانت تقع في أحد أحياء سارابوزا الجديدة يمتلكها رجل أعمال..

السفيرة: أهلًا دكتور عاطف تفضل.

دكتور عاطف: هل هناك شيء سيدتي؟.

السفيرة: سأكون صريحة وواضحة ومركزة معك، نحن نعلم أنه قد طُلب منك مخاطبة الرئيس في السماح للمغتربين بالبتر، ونرجو منك ان تجعله يوافق.

الدكتور عاطف: ماذا إن رفض؟.

السفيرة: لا لن يرفض وخاصة ان بعض الملوك سيكونون على استعداد لتلبية طلبه.

الدكتور عاطف: ماذا يهمكم في ذلك؟!.

السفيرة: حاليًا ليس من شأنك، لكن شأنك هو أنك ربما تحصل على منصب رفيع جدًا في حال تعاونكم.

دكتور عاطف: أشكرك سيدتي وسأبذل قصاري جهدي.

اتصل بالديوان الرئاسي طالبًا لقاء السيد الرئيس في أمر عاجل وأجيب لطلبه في الحادية عشر مساءً.

حينما دخل عليه وجده يشاهد إحدى القنوات الإخبارية العالمية ممسكًا بجريدة الفرنجة بوست في يده.

الدكتور عاطف: مساء الخير فخامتكم.

الرئيس: أهلا يا دكتور خير!.

القنوات الفرنجية ليس لها سيرة إلا موضوع القياس والبتر الوطني.

الدكتور عاطف: حضرتك بتابع الأخبار بنفسك؟!.

الرئيس: القنوات والصحف الفرنجية فقط هي من تعكس وجهة نظرهم عنّا، أما الصحف المحلية فيقرأها المستشارون. إنها صحف صفراء في مُجملها وحتى القومية منها تحوي غالبية من المنافقين.

الدكتور عاطف: سيادتك عارف كل شيء!.

الرئيس: عارف، لكن ماذا أفعل.. من الصعب تغيير الملايين. والأسهل النظرة الخارجية لنا. ادخل في الموضوع فأنا لا أسهر كثيرًا.

دكتور عاطف: عفوًا أود أن أطلب من فخامتكم السماح للمغتربين بالبتر.

الرئيس: هذا ليس قراري، إنه قرار الدول التي يعملون بها.

دكتور عاطف: أعلم سيدي، لكن أود من فخامتكم مخاطبة الملوك والرؤساء في ذلك.

الرئيس: وما هي الأهمية القصوى في ذلك لنا؟.

سيدي، إن السارابوزيين في الداخل أصبحوا ينتظرون الدور في البتر والقياس، وتقريبًا أصبح لدينا ملفات لكل المواطنين بالداخل وأنتم تعلمون أن لدينا نحو سبع ملايين بالخارج. وحينما يعودون سيصبحون مثل الجراثيم، وعندها سنكون أمام طريقين؛ إما أن نسمح للجراثيم أن تحيا بيننا مما سيؤثر سلبًا على نقاء النوع، وإما أن نتخلص منهم في مجازر جماعية.

الرئيس مقاطعًا: عوزنا نقتل 7 مليون يا راجل؟!.

الدكتور عاطف: ولذلك أطلب من سيادتكم مخاطبة الرؤساء بما لديكم من علاقات أكثر من طيبة معهم، وواثق إنهم سوف يوافقون فورًا.

الرئيس: خلاص سأحادثهم وسوف يبلغك رئيس الديوان. يمكنك الانصراف، وبالمناسبة أنا مبسوط منك.

وعرف بعد انتظار ليومين أنه تم السماح للمغتربين في الدول المجاورة فقط بالبتر وتم إرسال أطباء سارابوذيين لتلك الدول مع خطابات لتسهيل مهامهم إلى أقصى حد ممكن.

في الطابور الطويل أمام السفارة، وقف عبد الله منتظرًا دوره في القياس والبتر، ثم أمسك هاتفه ليتصل بزوجته.

ميساء: آلو.. عبد الله أنت فين؟ على قهوة!. إيه الصوت ده، أنا مش سامعة.

عبد الله: لا أنا واقف في الطابور.

ميساء: طابور إيه؟ أنتم عندكم طوابير مثلنا؟.

عبد الله: طابور السفارة، سأبتر.

ميساء: ليه؟.

عبد الله: عشانك وعشان سارابوزا.

ميساء: طيب. حلو بس قيس الأول.

عبد الله: آه ما أنا قست خلاص، وواقف في الطابور الثاني.

ميساء: طب خلي بالك من نفسك وتابع الجرح كويس.

عبد الله: ما تخفيش. يلا بقى لأن دوري جه خلاص.. سلام.

ولم يخلُ الأمر من مناوشات بين الواقفين ممن كان علي عُجالة من أمره، وممن حاول تخطي دوره، وقد حاول البعض دفع رشاوي للحصول على بتر مستعجل، وكان حرّاس السفارة هم أكثر المستفيدين وبالعملة الصعبة.

وأعلن البنك الدولي عن تحويل مليارين من الدولارات على سبيل المنحة التي لا تُرد للحكومة، للمساهمة في عمليات البتر داخل وخارج حدود الوطن مع دفع تكاليف الأطباء.

لم تكن المخابرات الفرنجية تتحرك بمفردها بل كانت ستارًا لمخابرات أبناء العم.. وكان الهدف الأكبر لهم هو زيادة تشجيع بتر الأصابع داخل الجاليات السارابوزية بالدول المجاورة.

بعد أيام تماثل عبد الله للشفاء.. كان يعمل حارسًا لعقار في مبنى مجاور وكان أيضًا يقوم من آنٍ لآخر بأعمال النجارة والسباكة والكهرباء لسكانها طمعًا في الحصول على دخل إضافي.

ميساء هي من رأت إعلان وقدمت له الأوراق وشجعته على السفر.

لم يكن قد امتهن هذه الحِرف في بلده الأم لكنه قد احترف الفهلوة منذ نعومة أظافره.

حادثته هاتفيًا إحدى الزوجات من سكان البناية ليقوم بإصلاح حوض الحمام والذي انفجر لتوه. بعد تمام شفاءه.

كانت إلهام فاتنة وتعمل موظفة في إحدى الجهات الحكومية بعد إقرار مبدأ التوطين في بلدها، وكان أيضًا زوجها فهد كثير السفر والانشغال.

بعد أن حياها دخل مباشرة إلى الحمام وطلب منها إغلاق الباب على نفسه ريثما ينتهي من عملية الإصلاح.

فتحت الباب ممسكة بكوب من عصير الكيوي في يدها وفاجأته بسؤال: عبد الله.. هو إيه موضوع القياس والبتر ده اللي شغال عندكم في السفارة؟!.

أوامر يا مدام عشان الوطن.

يعني فرق معاك في حاجة زي ما بنسمع؟.

ضاحكًا وصامتًا.

لم يكن في حاجة لخلع بنطاله والذي انفجر فجأة للتو بعد أن تبادلا النظرات.. كان حوضها أيضًا بحاجة للتسليك بعد انسداده المستمر لغياب زوجها المتكرر.

بعد أن انتهى من عمليتي التسليك، شكرته وأعطته أكثر من توقّعه، وشددت عليه أن يأتي يوميًا في نفس الموعد.

كانت المرة الأولى التي يخون فيها زوجته. كم غضب من نفسه ولامه ضميره الذي أخذ غفوة فجأه في الحمام.

حكت لصديقتها عن هول ما رأته وأكدتا معًا صِدق الإشاعة بعد أن أرسلته إليها لإصلاح بوتاجازها، والذي كانت شعلته قد انخفضت بشكل مُلفت للنظر في الآونة الأخيرة.

وانسدت كثير من الأحواض وانطفأت معها عدد من الشعلات وكان عبد الله قاسمًا مشتركًا.. لكن البعض أحببن أن يجربن.

ولكم سلّك عبد الله أحواضًا وأشعل شعلًا، وانتشرت مهارته بين السيدات وهكذا انتشرت شائعة عبد الله السارابوزي الرهيب.

الفصل السابع

وذات يوم بينما يؤدي عمله في ترميم حوضها والذي تركه صاحبه فترات طويلة متعذرًا بالسفر، كونه أحد الموظفين المرموقين بوزارة الداخلية.

عاد صاحب الحوض فهد فجأة ورأى عبد الله وكان عاريًا.

رمقه بنظرة حقد وأسف وآثر ألا يجر على نفسه الأقاويل، فأشاح إليه أن يعرض عنها وإليها أن تغطي حوضها، وتستغفر لذنبها وأن تتبعه إلى الصالون.

بعد عتاب من طول الغياب وتبيان أنها لم تكن إلا لتجرّب ما قيل لها، وأنها ليست الوحيدة في هذه البناية.

استمع اليها وقرر أن يصمت درءًا للفضيحة في قبيلتيهم، خاصةً وأن ابن عمه هو وزير الداخلية الجديد، ثم تركها وانصرف.

لكنها اتصلت بعبد الله وطمأنته بشرط أن يصمت ولا يحكي ما حدث لأيٍ مَن كان وشكرته ووعدته بلقاء آخر قريبًا.

ركب سيارته وأخذ يفتر في الشوارع يتذكر ما رآه من زوجته الحسناء ويفكر، إلى أن اهتدى أمام قهوة شعبية يرتادها بنو

جلدة عبد الله فأوقف سيارته جانبًا ونزل. قوبل بترحاب شديد طالبا بفنجان من القهوة وشيشة عنب ثم جلس منفردًا.

استمع لحديث جانبي بين ثلاثة من الشباب السارابوزي عن موضوع القياس والبتر وكيف أثّر في طول العضو الذكري لديهم، و قرر أن يستبين الأمر.

عاد فهد إلى فيلته ثم أرسل أحد الخدم ليأتي له بعبد الله.

جاء بعد تردد ومرتعشًا لكنه بادره بأنه ليس غاضبًا منه، بل وطلب منه أن يتكتّم على الأمر وأن يأتيها متى شاء مشترطًا السريّة وسماع كلامها حرفيًا، وعدم التحدث إلى أحد.. لكن عبد الله خاف أكثر، فعاجله بـأوراق نقدية وكوبًا من عصير الكيوي طلبه له. فنخّ عبد الله شيئًا ما.

سأله عن موضوع القياس وكيف كان وبعد البتر كيف أصبح وكان عبد الله محتفظًا بورقة رسمية من السفارة فأخذها منه وقرأها وهالته النتيجة، ثم قام بتصوير عضوه الذكري قائلًا أنه في حال تحدّث فأنه يمكن سجنه كونه أتى إلى المنزل في غيابه، وقام بتعرية ملابسه لإغراء زوجته، وقد رصدت كاميرات المنزل ذلك.

لكن فهد كان له نية أخرى.

رفع تقريرًا لوزير الداخلية الجديد، وبينما كان يتحدث معه قال أحد زملاؤه أنهم متفاجئون من تغيير مزاج النساء الوطنيات بعد تقارير رفعها صغار الضباط .

أشار إليه الوزير أن يتحدث ويوضح أكثر، فانتصب وقال:

سيدي: الأمر سابقًا كان مستترًا نوعًا ما،

نعلم ذلك جميعًا لكنه كان تحت السيطرة،

لكن بعد موضوع البتر رصدنا أن السارابوزيين وليست مبالغة، يتم دفع مبالغ طائله لهم من بعض السيدات.. وقد سمعت ذلك من بعض شبابهم على أحد المقاهي التي تجمعهم.

بل وأن بعضهم تجرأ لوضع صوره على مواقع التواصل وسيادتكم تعلم تبعات ذلك على الفتيات القاصرات.

وأصبح الوضع الأمني في خطر وربما تأتي الفضائح.

ولذا فإنني أطالب بأن يتم دراسة موضوع القياس والبتر للمواطنين أيضًا، وإلا فإن القادم أسوأ وشكرًا لسعة صدركم، وإلا فخطة التوطين مهددة من تلك الأحواض المتسعة بفعل عوامل الزمن.

ثم انتقل بجواره هامسًا: كما أرجو من سيادتكم التأثير على الرئيس فهو صهركم الجديد وزوج أختكم المصونة، وبالطبع من أجل الوطن.

بعد شهرين قد صرح رئيس البلاد بضرورة القياس لكنه ترك أمر البتر حرية شخصية.. ولحقتها عدد من الدويلات المجاورة.

كان عبد الله يعمل ليلًا ونهارًا وكذلك عادل أيضًا،

في إحدى الليالي قررت ميساء أن يزورها محمود لتحادثه فقط فقد كان عادل للتو قد تركها في إعياء شديد.

جاءها على استحياء. تقدمته وأدخلته كالعادة لحجرتها.. جاءته الوساوس لكنها بادرته بالقول: لا مش عشان اللي بالي بالك يا مجرم. بس هنا صوتنا مش هيطلع بره الشقة. جلس على طرف السرير. كان الشرشف أرضًا ومخدتين أيضًا وسوتيان.

امسك به.. ونظر إليه وقال:

ميساء. هو ده مقاس كم؟.

مقاس 38 سي لو كنت حابب تبقى خبير مع ابتسامة.

تبسم محمود بذهول فلم يكن يعرف ماهية القياس.

أشارت له بأن يأتي لينام بجوارها بعد أن أعادت ترتيب السرير بعد معركتها الأولى.

أنا كان مقاسي أقل من كده بكثير لكن بعد الزواج وإرضاع الغريب قد لاحظت زيادة كبيرة فيه.

لم تكن قد حملت بعد لكنها قد تبنت على الأقل 25 فردًا منذ إقرار تلك الفتوى الجميلة، كما أن العضو المهمل يضمر كثيرًا كما صرّح جان باتيست لا مارك هكذا قالت له.

وكان أحد المشايخ قد أباح أيضًا للمرأة المتزوجة أن لا تخبر زوجها بخيانتها متعللًا بأن الله قد سترها ولذا فليس من المقبول دينيًا أن تجاهر بالمعصية.

ثم ادار وجهه للزوج طالبًا منه أن لا يأتي إلى البيت إلا بعد أن يتصل بزوجته تاركًا لها فرصة لتهريب العشيق..

ولذا لم تكن ميساء لتنتابها أوجاع النفس اللوامة..

كانت سارابوزا تنتهج الدين الوسطي وهو ذاك النوع الذي يستثنى المنطقة الوسطى من الجسد بدايةً من البطن حتى الركبة. وكان المعبد منارة تغطي أنواره حديقة المعبد، بيد أن أزمة الكهرباء الطاحنة منعتها من التمدد خارجها.

استراحت ميساء وشبيهاتها من ألم الضمير. وقبضت صكًا بقيراطين في الجنة. احتفظت به في خزانتها وأوصت أن يدفن معها ترقبًا لسؤال الملكين.

وضع رأسه علي صدرها. يبدو ظاهرًا من قميصها الشفاف. تبقّت له رضعتان. لكنها أبعدته عن حلمتها المتشققة ووافقت على أن يضع يده.

شعرت أنه ابنها وشرعت في الغناء واضعةً يدها على شعره، فغط في سُباتٍ عميق، فنظرت إليه وتبسمت وأنزلت يدها للأسفل وقاسته ثم تبسمت ونامت بهذا الوضع..

حينما صحى من نومه أقلقها فاحتضنته مرة أخرى وترجّته ألا يقوم بعملية البتر، وودعته وأكملت نومها..

لم يكن محمود ذا علاقة وطيدة بالإنترنت ولا مكالماته المجانية، لم يشاهد من قبل صورًا إباحية إلا تلك الكلبة التي تتشابك مع كلب في الشارع. ينظر إليها ويبتسم بينما تقف امرأة عجوز تقذفهم بحجر مُخرجة لعنات حيث أن الكلبة ذكّرتها بماضٍ لا تستطيع إعادة تمثيله، يبتسم في خجل ثم يكمل طريقه.

تساءل بينما يمشي مترنحًا من أثر كوب من الشاي المختلط بنشارة الخشب وقليل من التراب أخذ شهرة شعبية كبيرة منذ أن قام أحد المطربين الشعبيين بالغناء له قائلًا: شاي رامبو بعمل دماغ أجدع من أي بانجو.. اييييييه!.

لماذا لا يستتر هذا الكلب بينما يمارس الفحشاء؟.

لِما لا يكن حريصًا كصاحبتي ميساء.

لقد حصل للتو على الطرد من الرحمة بينما كان يحاول مثلها البحث عن الُلحمة.

ربما كان غبيًا ليدع نفسه يُلعن من عجوز شمطاء.. هذا الكلب في احتياج لدرس من حبيبتي ميساء..

حبيبتي.. آلو.. رد عليها منتشيًا.. كنت في سيرتك والله.

ميساء: وإيه اللي فكّرك بيا؟!.

محمود: الكلب..

نعم ردت بسرعة.

القلب يا حبيبتي.. أنت تسكنيه.. ضحكا ثم قالت له مُر عليا حالًا..

الفصل الثامن

للتو قد بدأ الإعلان عن تطبيق قرار رئيس البلاد حرصًا على الأحواض التي أدمنت تسليك عبد الله ورفاقه بأن يتم البتر بعد دراسة جدوى أخذت ساعتين و4 كوب من القهوة المحلية.. فالحكيم يفكر سريعًا.

في أحد مواقع التواصل الاجتماعي قام فهد عن طريق حسابه الذي يراقب به تغريدات الشباب بوضع صورة لعضو عبد الله السارابوزي تحته عبارة:

أنا أول واحد أبتر.. أرأيتم كيف أصبح؟.

لقيَت التغريدة آلاف اللايكات وإعادة النشر مع رسائل له على الخاص قرأها دون رد تطالبه برقمه وعنوانه ومكان تواجده حالًا.. لم يرد فقد تم له ما أراد.

أقسمت عديد من المتابعات أن هذا القضيب لم يرد ذكره في أي موقع إباحي، وأن هذه الصورة عن طريق تكبيرها مرات ومرات تم التأكّد أنها صورت داخل المملكة، وعليه فهي لأحد الفحول الوطنيين..

قالت إحدى المتابعات: لست في حاجة الآن للسفر خارج الوطن لأضاجع الزنوج.. خيرنا ما يطلع بره.

كان هناك أحد الشباب المجسمين يتابع الحديث.. بينما يمشي في طريقه للجيم من أجل زيادة كتلة عضلاته لترفع أكبر قدر من الأرداف المكتنزة، إذ به يغير وجهته فجأة إلى أحد المستشفيات الخاصة عارضًا على احد الأطباء مبلغ مالي كبير مقابل بتر أصبعه، هادفًا في الوقت ذاته أن يكون أول فحل وطني يخضع للبتر.

لكن الطبيب عرض عليه أن يبتره له في المنزل من أجل الحصول على كامل المبلغ.. ووافقا.

جمعته علاقة صداقة بحصة صديقة إلهام صاحبة الحوض.. بعد فترة قد تماثل للشفاء فيها حدثت له المعجزة.. رأتها عيانًا في سماء حجرة نومها.. ولم يعد لعبد الله مبررًا للتميّز على الفحل الوطني.. الذي انتشر صيته إضافةً إلى بنيته الجسدية في أحاديث السيدات الجانبية..

ولأني أحببتُك جدًا.

أرجوك لا تَكُن وجعًا أحكيه يومًا لغريب.

كان هذا ما قاله زوجها لها..

فاستغنت عن عبد الله هي أيضًا.. واستعانت بالمجسم الذي امتلك قدرة جسدية على رفع الحوض عاليًا في جميع الأوضاع، وقام زوجها بوضع صورة الفحل الجديد بدلًا من صورة عبد الله واضعًا تحتها:

أول فحل وطني يخضع للبتر.. مع قدرة تنافسية على الأداء العضلي الشاق..

ووضع رابط لصفحته الشخصية على موقع سناب شات..

كان الفتى قد وضع نفس الصورة وفوقها قد كتب

لقد وضعت وطني الصغير بين جنبيك!.

لقد كان من الرائع له حقًا أن يرى جزءًا منه في شخص آخر.. كانت تلك كلمات امرأة في تعليق.

ومن الرائع أيضًا لفتية آخرين..

كانوا قد تواصلوا معه، ثم مع الطبيب أيضًا في منزله.

حكى الطبيب لزميله أنه قد استطاع أخيرًا شراء فيلتين في موطنه إحداهما للسكنى والأخرى للصيف.. مع بعضٍ من أموال نثرها في حسابين بنكيين.

مما حدى بالزميل أن ينتهج خطاه.. وعلى خطاهما قام الأطباء الوطنيين بإعلان أهليتهم لبتر أبناء الوطن.. مع عروض

لا تُقاوم.. كان منها خدمة البتر المنزلي مع متابعة الجرح بواسطة ممرضة حسناء..

كما استطاع أحدهم استصدار قانون يمنع إجراء البتر إلا على أيادي أطباء وطنيين.. لدواعي الأمن القومي..

بعد شهرين كان عدد المبتورين قد وصل إلى رقم ..8420

الفصل التاسع

الجميع يقوم به كما ترين حبيبتي

أريده من أجلك

لا يا حبيبي..

ليس عليك أن تقوم بذلك.

محمود..

أنت من تمثّل هذا النقاء.

من خلال معرفتي بك.. في مدة ليست بالقصيرة،

أنت برئ، ذو قلب طيب..

نقاء السلالة.. يا حبيبي.

أنت الأمل يا محمود الذي لم تعبث به يد الطبيعة. ويمكنه لهذا أن يسمع همسها دون عناء.

لكن مثلك لا يجب أن يحيا في هذا العالم المُضل

ماذا تقولين؟.

لكن كل الرجال أصبحوا بإصبع واحد وزاد عضوهم الذكري عشرين سم..

هذا يعني أنك لا ترغبين بي حبيبًا.

لا.. لهذا أرغب بك عاشقًا متيمًا

دون منفعة.

دون سوائل كريهة، ودونما سبب..

الحب يا محمود لا يجب أن يكون له دافع ولا حافز،

الحب لعبة طرفيها رابح واحد لا أريدك هو،

لكن من يخسر هو أيضًا مُحب لأن الحب هو رغبة بالوجود بقرب من تحب لا أكثر.

أنا بالفعل أريد بقائي بجانبك.

الحب يا محمود ليس فيلمًا نهايته سعيدة، لكن لذة المغامرة دون نهاية هي الحب تحديدًا.

أهذا قرارك؟.

نعم يا حبيبي.

ابتعد أو اقترب دون بتر.. أصابعك.

الحب هو عندما تفكر بشكل جديد، تستخدم نحن بدلًا من أنا.. جميع أفكارك تدور حول شخص آخر

هو أنا..

بحبك.

وأنا هائمة بك يا ذا الأصابع العشرة..

لكن.. سهم كيوبيد لدي ليس بالطول الكافي ليحدث تأثيرًا لديك حبيبتي.

لما لا تهتم ببوتو.. هو أيضًا ملاك طفل، عاري تمامًا..

يتوسط للحب بين اثنين من البشر.

الحب الذي لا علاقة له بالرب ولا الكاروبيم.

أنا أفضّل هذا النوع من الحب.

كحمامة لكنها لا تحمل غصن زيتون مشتعل.

النار يا حبيبي داخلي منذ قرون.. منذ أن تم وضعها على ذلك السيف الذي يمنع وصولك للحقيقة.

الحقيقة إني أحبك جدًا

لكنها يا محمود..

Veristas est adequate rein et intellect

ومن المناسب أن أتمسك بتلك الأشياء التي بدأت تظهر على عادل..

كما أنه من الذكاء أن لا أدعك تفعل ذلك البتر،

الدراسات دومًا يا حبيبي تسير على أسس علمية.

أنا أفضّل النوع الذي يُطلق عليه Control Design study

أتحبين السيطرة؟.

لا بل أعشق الدراسة.

أنت مهم لي بقدره تمامًا.

أحبكما...

أنتما تسيران معًا نحو المجهول

الذي أحاول اكتشافه..

لا تبتعد عني أرجوك.

حبيبي..

حبيبتي..

عانقني فقط.

العناق دون سوائل.. هو ما أحب دراسته معك.

ميساء...

حبيبي..

بينما تعانقه تتذكر أنها قالت لعادل

الحب يا حبيبي قرار، ولا قرار يُبنى على عاطفة فلا تصح أن تكون أساسًا لوعد.. الأفعال دومًا تأتي بعد القرارات.

خذ قرارك ببتر أصابعك جميعها، هنا يكمن الحب يا عزيزي.

ثم افعل بي ما يحلو لك... هكذا أشعر أنك تحبني

فالعضو الغير مستخدم يضمُر دائمًا.

الحب يعطي طاقة للحياة يا حبيبتي..

نعم ... أنا الآن آخذها من سوائلك، لكن كمية الطاقة التي ستعطيني إياها ربما تصبح عشرة أضعاف كما أن هذا ربما سيتضخم أيضًا كمقدار حبي لك.

الحب يا عادل هو ارتفاع مستمر في العاطفة لكنها فقط المؤثرة على المستوى العام للعلاقة.

نعم العلاقة الزوجية كما تفعلها الآن،

أريدها عشرة مرات متتالية.

أكثر مما أعلنها تايرسياس رسول أبوللو الأعمى بدرجة.

هنا يصبح الحب تضخمًا

كما تضخم هذا العضو..

قرّبه مني أكثر.. دعه يعانق حوضي..

ميساء..

حبيبي... اقطع أصابعك العشرة... لكن فلنبدأ بهذه اليد اليمنى فقط ضعها هنا بالأسفل داخله لأشعر بها للمرة الأخيرة..

الجزء الثالث

الفصل الأول

بعد ثلاثة أشهر وعشرًا

حدثت المعجزة..

لقد تحول عضوه الذكري إلى ما يشبه الساق، وتضخّم رأسه للحد الذي أصبح فيها كالقدم مع صعوبة اعتماده على ذراعيه، يشعر كأنه أصبح وحشًا بخمس قوائم لا يجيد استخدامها معًا،

حتى أنه توقف في منتصف الطريق لم يعد قادرًا على السير على قدمين فقط.

الرجال ينظرون بتعجب والنساء ترمقه بنظرة حاقدة...

وقفت إحداهن واقتربت.. معقول هذا

لم ترتدِ بنطالًا إذن؟.

ردت أخرى بابتسام.. بل كيف استطاع ارتداءه منذ البداية؟.

وتعجّب رجال.. من أين مجرّة هذا؟.

تهمس أخرى... أين زوجي ذو العشرين سم أضافه إلى ما كان يملكه سابقًا!.

بل تجرأت إحداهن وقامت بلمسه.

فقرر أن يحاول السير إلى جانب الطريق ليسلم منهن..

يشعر أنه كحيوان غريب الشكل مشوّه وسط حشدًا من الملائكة.

الأفضل أن أعود لمنزلي الآن..

لكن الأهم الآن لديه هو أن يجتنّب طريق المارة.

ميساء.. نعم.

فقد كان في طريقه لها.

إنها في انتظاره.. لكن كيف اتصل بها بعد أن بترت أصابعي كلها.. العشرة.

بعد أن استنتجت أنه كلما قطعت أصبعًا زاد طول عضوي الذكري.

ميساء.. الخبيثة من همست لي بتلك الفكرة بعد أن عانت بشدة من نتاج قطع أصابعي الخمس اليمنى وتمتعت بذلك.. لم تعد تكتفي.

أصبحتُ الآن شبه مقيم معها بعد أن أمرت والدتها بعدم زيارتها مرة أخرى إثر افتعالها لمشكلة..

الحمد لله.. بصعوبة بالغة على أقدام ثلاث ومرة على قوائم خمس، وصل عادل إلى جانب الطريق على بُعد أمتار من منزله الذي كان للتو تاركًا له للانتقال للعيش معها أسبوعًا كاملًا..

منذ وفاة والدتي رحمها الله بعد أن رأت أصابع يدي اليمنى كلها مبتورة.

دخلت في حالة نفسية سيئة زاد من معاناة مرض ارتفاع الضغط وقصور الشريان التاجي لديها،

قالت بحدة إنني قد أُصبت بالجنون وأن أملها قد خاب بعد تحمّلها خمس عشرة سنة دون زواج من اجل التفرغ لتربيتي..

والدتي..

رحمها الله..

يقفز على السلم بينما تدمع عيناه..

لقد أمضت ليالٍ معي هنا كثيرة.

لن أذهب بهذا الشكل ربما تأخري عنها قد يجعلها تأتي، كما أن هؤلاء النساء والرجال الذين يجتمعون بالأسفل انتظارًا لرؤية المسخ البشري الذي يعبر الطريق على أقدامه الثلاثة.

يزعجني تجمعهم..

لقد زاد العدد حينما نظرت من خلف هذا الشباك..

فلأذهب لهذا السرير فالباب مفتوحًا إن أتت.

في الواقع أني أتركه كذلك منذ وفاة والدتي، فلم يعد هناك ما أخشى عليه..

كما أنها لم تعد تحوي أي شيء بعد أن قمت ببيع الآثاث والأجهزة إلا هذا السرير وهذا الكمبيوتر

رغم أني لم أعد أستطيع استعماله.

أيضا سخان الماء الكهربي هذا، طلبت ميساء ألا أفرِّط فيه.

تعشق شرب الشاي على السرير كما كنت أحب منذ زمن.

الوضع المناسب لي الآن هو أن استلقي على ظهري..

نعم..

هذا مريح لقضيبي أكثر.

يا إلهي أظن أن العدد في ازدياد،

الملاعين يقذفون شبّاكي بالحجارة،

كما إن هناك ضجيجًا على السلم، يقترب أكثر فأكثر

مَن؟..

ميساء.. ميساء.. تعالي هنا.

أنت إذن تتحدث مثل البشر!

نعم! من أنت؟.

أنا الضابط ثروت من شرطة النجدة وقد تم الاتصال من قِبل الجمهور بالأسفل للإبلاغ عن وجود كائن غريب له رأس

إنسان ويسير على أقدام ثلاثة أو خمس، وحكت بعض السيدات بالأسفل أنها ليست قدمًا بل قضيب، وهـذا لا يكون لبشري إطلاقًا.

دعنا نرى من فضلك..

ألديك بطاقة هوية ؟.

نعم اسمي عادل ورأسي كرأسك على باقي جسد إنسان.

هناك على الأإرض ملقاة بجوار ذلك السخان الكهربي منذ ثلاثة أشهر وأكثر لم أقترب منها،

عادل عبدالرحمن السارابوزي

أهذا اسمك؟.

نعم..

ولما لم تقترب منها طوال تلك المدة؟.

ألم تر أنه لا وجود لأصابعي العشرة!.

نعم..

دعنا نرى لو سمحت قدمك الثالثة.

لن يحدث ضرر فقط مجرد رؤيته لتأكيد معلومات البلاغ.

يا إلهي.. إنه حقًا قضيب ضخم جدًا.

كيف حصلت عليه؟!

لا أدري إنه فقط معجزة إضافة لاستنتاج..

فمنذ بُتر إصبعي السبابة الأيمن وهو في زيادة مضطردة.

نبهتني لها ميساء.. لكنها لم تعد تكتفي.. فقمت ببتر أصابعي واحدًا تلو الآخر بناءً على نصيحتها لفائدتها.

ميساء.. من تكون؟ أهي طبيبة؟.

لا بل صديقة لكن أرجوك لا تقحّم اسمها في هذا المحضر..

إنها متزوجة ولا يجب الزج بها.. أكيد أنت متفهّم؟.

نعم.. أتفهم لا عليك.

ربما تأتي الآن وربما لا تأتي.. إن مجيئها يتوقف على مدى رغبة حوضها الذي يتسع يومًا بعد يوم

أنا لا أستطع محادثتها..

فلأحادثها أنا.. كم رقم هاتفها؟.

اطلب أنت هذا الرقم 03332077، ولكن رجاءً دعني أنا أتكلم.

لك ما تريد..

ميساء.. أنا عادل أتحدث من تليفون أحد المارّة في الشارع، لن أستطيع الحضور لك، تعالي أنتِ هنا..

الآن وبسرعة..

لِما.. بسرعة؟.

تعالي وسترين بنفسك استنتاجك السيء وعواقب اقتناعي به.

لم تمضِ نصف ساعة قام فيها الضابط بعمل كوبًا من الشاي لنفسه باستخدام ذلك السخان الملقى أرضًا.. قبلها قام بالنزول للجمهور المحتشد بالأسفل وأمرهم بالجلوس بعد أن زاد عددهم وجاء تبعًا لذلك مراسلين من بعض القنوات التليفزيونية والذين تيقّنوا أن هناك أمر ما بمجرد مشاهدتهم لسيارتين من شرطة النجدة.. وتأكّد لهم ذلك حينما تحدث أحدهم للضابط ثروت الذي رد باقتضاب:

نعم هناك أمر غريب بالأعلى لكننا في انتظار ما تسفر عنه التحقيقات مع شخص قادم على علاقة وطيدة بالكائن عادل.

إنها أنثى.. هذا فقط ما يجب عليك الاكتفاء به حتى اللحظة. ميساء..

دخلت بنقابها.. الذي لولاه لما كانت تصعد لشقة ذلك الشاب الذي يعلم الجيران أنه يعيش وحيدًا منذ وفاة والدته.

رأته ممدًا على السرير على ظهره.. عاريًا.. كما تحب أن تشاهده، لكن كان قضيبه قد تضخّم بالقدر الذي أصبح كقدم

ثالثة تبرز من منتصف جسده، وذراعه وساقيه مثبتتان في طرفي السرير.. بينما الضابط يجلس بجواره.. على كرسي يحتسي الشاي وينفث دخان سيجارته بينما يحدّق بقدمه التي بدأت للتو تنتفخ مما جعله يقف مبتعدًا نحو ميساء..

ميساء . حبيبتي أبلغيه أنك من قمت باستنتاج ذلك .. يعتقدون أني لست بشرًا .

نعم أنت لست بشر يا حبيبي..

ردت بابتسام بينما تمسك بقدمه الثالثة التي زاد انتفاخها حتى تحولت إلى ما يشبه خرطوم الفيل.

أنت الرجل السوبر..

نعم حضرة الضابط ..

كل ما قاله صحيح وما قلته صحيح.

ردت بينما تضع يديها في يديه وأمسكتها بقوة.. جعلته يجلس مرة أخرى.. قبل أن يستدرك ويعرض عليها الجلوس.

لقد أصبحت الذي لا يُقهر يا عزيزي لكن بمواصفات البشر.

كما أنه سيدي الضابط قد تعرّض لعملية بتر لأحد أصابعه.. ثم على إثرها طال قليلًا عضوه الذكري.. بعد ذلك قام هو بقطع أصابعه واحدًا تلو الآخر، وكانت النتيجة مبهرة.

مبهرة؟!.

نعم بالنسبة لي.. لكن العكس قد حدث لوالدته التي لم تتحمل أن تراه يقوم بهذا الفعل طواعيةً مما جعلها تعتقد أن الجنون قد اعتراه وهو ولدها الوحيد فماتت على إثر جلطة قلبية.

كنت أنا حاضرة خلال ذلك التدّرج التطوري.

قلت له من فترة هل أنت طبيبة؟!.

لا.. لكن دراستي كانت في علم الأحياء.

إذن ميساء أرى أن تخرجي لهذه الجموع المحتشدة، يريدون فهمًا لِما حدث ولن نجد أفضل من يتكلم سواكِ..

أنا؟!.

نعم..

إضافة لمعرفتك شخصيًا به، فكلماتك عنه ربما تمثل دفاعًا عنه..

نعم.. لا تستغرب.. فالأوامر التي عندي تقتضي باعتقالك بعيدًا عن الناس..

لا.. ميساء حبيبتي.. أرجوكِ اخرجي لهم.. لا تدعيهم يأخذوني كحيوان تجارب أو مسخ في قفص حديدي خوفًا على الأطفال.

الفصل الثاني

أيها الناس:

أعرفكم بنفسي وعذرًا لأنكم لا ترون وجهي بحكم انتقابي، منذ فترة طويلة وذلك قراري مع إيماني التام بحريتكم جميعًا فيما تفعلوه،

أيضًا الحرية للكائن الأول في سلسلة الانتواع.

أنا ميساء.. ماجيستير علم الأحياء..

والكائن الذي رأيتموه قبل قليل ليس مسخ ولكنه إنسان مثلي ومثلكم.. لكنها الطفرة التي تحدث دومًا وقد حدثت مرارًا أثناء تطورنا الطبيعي نحو شكلنا وسلوكنا الحالي..

إنه الانتواع ... ما يعرّفه بعض العلماء بمصطلح Specia-tion .. وهو عملية تطورية تظهر من خلالها أنواع جديدة من المخلوقات الحية..

يمكن تحقيقه من خلال أربع آليات.. لا شأن لكم بها..

لكن ما حدث مع عادل السارابوزي وهذا اسمه.. هو الانتواع الصناعي.. الذي قمت به أنا معه بعد أن لاحظت أن بتر إصبع

السبابة الأيمن قد تسبب في إطالة عضوه الذكري حوالي عشرين سنتيمترًا، وربما لاحظتم أيها النساء ذلك فيما بعد.

فقمت بمتابعته بسريّة تامة وكنت آتي إلى منزله لمتابعة حالته.. وقد استنتجت أن قطع الإصبع قد يساهم في إطالة العضو الذكري.. وهذه المعلومة أكدها مجموعة من علماء الغرب سابقًا.

لكن الجديد هنا أن قطع الأصابع العشرة قد أنتج بعد ثلاث شهور وعشرة أيام، قضيبًا كما خرطوم الفيل تقريبًا..

إن القضية المثارة منذ فترة حول الحفاظ على النسل السارابوزي والبطريقي المتميز عالميًا هو من حرّكني..

لعلكم تعرفون عالِم الأحياء الشهير "جان باتيست لا مارك".. الذي آمن أن البيئة تؤدي إلى تغييرات في الحيوان، لكن تلك التغييرات لا تتضمن أي تغيير في المادة الوراثية.. الحمض النووي كما تعلمونه DNA، ومن ثَم فإن التغير الذي رأيتموه للتو على كائننا الجديد.. لن يقوم بأي تعكير لصفو الجنس السارابوزي العظيم ولا الجنس البطريقي أيضًا..

لكنني أتوقع طبقًا لنظريته التي آمنتُ بها أن عادل السارابوزي سوف يتكيّف مع البيئة، وهنا سوف نتحرك إلى أعلى سلم التقدّم،

إلى شكل جديد ومميز مع بصمتنا المحلية التي تكمن في طيات حمضنا النووي السارابوزي المميز..

ولكن هذا لن يتم إلا بمشاركتكن أيتها السيدات العظيمات.. فالوصول لهذا الكمال يقتضي أن يكون لنا دورًا..

فإنه طبقًا لدراساتي السابقة وجدت أن عادل قد استطاع إطلاق قذف منوي يعادل ليترين من المني في المرة الواحدة..

وهذا السائل ستعمل حركته السريعة على حفر القنوات بين الأنسجة الحسّاسة من خلال أحواضكن التي لابد لها أن تتوسع لأمرين:

أولهما هو استيعاب تلك الكمية الكبيرة والآخر للتكيّف مع تلك القدم الثالثة الضخمة التي ترونها الآن.

و قريبًا سوف يبدأ التدفّق في التغيّر، مما يؤدّي إلى ظهور أعضاء مميزة فيكن أيضًا عزيزاتي، وسوف تصبح كمية ونوعية السوائل لديكم مستقبلًا أكثر تعقيدًا، مما يولّد مجموعة متنوّعة أكبر من الإفرازات والمواد التي تتكوّن منها الأعضاء الجديدة..

وهذا سيولّد مستقبلًا نوعًا جديدًا من الجنس السارابوزي الذي لا يُقهر..

أيها الرجال اقطعوا أصابعكم العشرة.

وإلى كل السيدات المتواجدات:

من منكن ترغب في تجربة عملية مع هذا الكائن الجديد..

أبو سارابوزا..

لكنني أحذركم.. لابد من استخدام هذا العضو الجديد باستمرار وإلا فالمكاسب التي تحصلنا عليها للتو.. سينقرض معها حلمنا نحو الجنس الذي لا يُقهر..

كما أنه يجب أن تعملن على اتساع أحواضكن إعمالًا بقاعدة العالِم «لا مارك» وإلا فإن التعديلات التي اكتسبناها لن تؤتي ثمارها..

أكرر أخيرًا.. بينما تمسك بعضوه الذي انتفخ جدًا..

من منكن ترغب في تجربة عملية..

رفعت يديها تلك المرأة التي حاولت لمسه سابقًا وتبعتها اثنتين..

لكن ميساء خلعت نقابها كاشفة عن ميني جيب ذي لون بني فاتح.. أثار شهية الرجال.

ثم قالت بصوت ناعم..

لكن من بعدي!

بينما ترفع عضوه لأعلى..

أبو سارابوزا

أبو سارابوزا

وهتف الجميع بعدها.. في الوقت الذي كانت السيدات الثلاث يقفن بجوار عادل..

أبو سارابوزا

.. أبو سارابوزا

لكن المجتمعون بالأسفل كانوا ينتظرون تأكيدًا للتجربة العلمية بالأعلى.

نعم.. لقد كانت تجربة ناجحة. وممتعة أيضًا

وردت الأخرى: الجنس مع هذا الكائن يجعلني أعلنها.. أنني لم أتزوج سابقًا..

وأفادت الثالثة أن حوضها قد اتسع.. ألا تلاحظون مشيتي الجديدة..

وقالت ميساء أن السائل قد تسرب فيهن وأتوقع أنه في غضون أسابيع قليلة من الممارسة المتكررة سوف يتسرب السائل للداخل وسوف يبدأ التدفق في إظهار الأعضاء الجديدة.

ولذا فقد قرر وزير البحث العلمي الذي هاتفني للتو تحمّل كافة الترتيبات لهؤلاء الفتيات الثلاث وإقامتهن هنا مع تلبية كافة احتياجاتهم وصرف مليون جنيه سارابوزي لكل منهن دعمًا للبحث العلمي.

كما قُمن جميعهن بالتلويح للمشاهدات على التلفاز

ندعوكن للتجربة.. الجنس معه أمر خيالي.

كما أن لديكم أيها الرجال فرصة للحاق بالخارق أبو سارابوزا.

قام عشرة شباب بقطع أصابعهم فورًا بعد المشاهدة.

عاد التكدّس على عيادات الجراحين مرة أخرى

تمامًا كالمرة الأولى.. مما حدا بنشر الجيش في الشوارع من أجل تأمين تلك الجموع.

كما صدر قرار للنساء بعدم القياس.. وأن القياس لم يعد له أي فوائد بعد ظهور الكائن الأول..

فإنه ومَن على من شاكلته سيقوم بتوسعة الحوض وتنقيته..

دوركن أيها الفتيات.. يا نساء سارابوزا الوطنيات

ليس مطلوبًا أن تقطعن أصابعكن.

لكن عليكن بدفع رجالكن وأبناءكن وإخوانكن إلى الاقتداء بوالدنا الأول..

أبو سارابوزا.. أبو سارابوزا..

واعلمن أن الثابت علميًا أن البشر والفيلة والخنازير هم ثلاث فصائل فقط تقوم بالجنس من أجل المتعة وليس من أجل الإنجاب قط.

لكن كل الدراسات السابقة قامت بتأكيد أن الشهوة هي رغبة عضلية.. لكن أجزم بعض العلماء المعاصرين أنها استنتاج غير صحيح لأن التاريخ قد أخضع الرجل فقط للتجارب نتيجة للقيود التي فُرضت على حرية المرأة في التعبير عن رغبتها..

أدعوكم للتعبير عنها بكل حرية بفضل المناخ السياسي الحالي الذي نشكر القائمين عليه جميعًا.

كما لا تنسون الحقيقة التاريخية.. التي أعلنها تايرسياس، رسول أبوللو الأعمى منذ آلاف السنين:

الحقيقة الدقيقة، والتي لا لبس فيها أن النساء يتمعن بالجنس أكثر من الرجال بتسعة أضعاف

وها أنا أدعوكم لفعل ما وسعكم من أجل أن يعود عليكن بالنفع.. وأيضًا على جنسنا العظيم بالنفع والتطور.. وأيضًا على الرجال بالتفرّد في الشكل والقوة في الأداء الذكوري.

كما أنه أمامنا فرصة لتغيير تلك المقولة وجعلها عشرة!.

تروقني تلك الفتاة.. كثيرًا..

ميساء.. فلترتب لي معها لقاء قريب جدًا قبل أن أسافر للخارج في مهمة رسمية.

تمام يا افندم.

الفصل الثالث

ما شلوميخ بات عامي؟.

סוף מעשה במחשבת תחילה

אמ אתה מתחיל בצורה נכונה אתה מגיע לסוף טוב

כל התחלה קשה

ادخل..

نعم.. دكتور عاطف سعيدة بلقائك سيدي

ضع الشاي هنا أمام السيدة ميساء واخرج.

כרוב מאד

אין לי סבלנות

ولا وقت.. أنا الآن متجه للمطار في لقاء مهم..

خد تلك الحقيبة معك وحضّر السيارة.

حاضر يا افندم..

في خلال شهرين..

تمام سيدي..

אין דבר העומד בפני הרצון

غادر برفقة حرسه مودعًا ميساء التي كانت على موعد مع لقاء تليفزيوني..

نحن الآن لدينا عشرة آلاف شاب قد قاموا ببتر جميع أصابعهم والعدد في زيادة.

نعم.. أبو سارابوزا بصحة جيدة ويُبلى بلاءً حسنًا بشهادة فتياتنا..

حتى الآن زارته خمسمائة فتاة وجميعهن خرجن في غاية الرضا..

لدي أخبار سارة جدًا.

بعض الأجنّة الجديدة قد بدأت في التشكّل

لكن يجب أن يخضع الجميع للبتر حتى لا يتم ازدواج النسل.

لدي معلومات أن الحكومة قد تفرض قانونًا إجباريًا للبتر.. لكن هؤلاء الذين يقومون به عن رغبة سينتجون أنقى السلالات فالطواعية لها أثر نفسي يُضاف إلى جودة السلالة.

كما أنهم سيكونون على موعد لاختبار أكثر من خمسمائة فتاة قبل غيرهم.

قالتها مبتسمة..

بينما عشرات آلاف يشاهدون منتظرين أمام المستشفيات والعيادات الخاصة.

فقد صدر للتو، قرارٌ يقضي بفرض قانون البتر الكامل لرجال سارابوزا فقط..

لكن فهد أعلنها أيضًا في تغريدة واضعًا صورة القدم الأولى:

هل تقبلون التحدي.. رجالنا الوطنيين

أم أنكم توافقون على إرسال عشرة من نسائنا الأحرار لنيل بركة أبو سارابوزا؟.

أثناء وجوده في المطار تلقّى صور في التغريدة بأن خمسة وعشرون شابًا الآن في عيادات خاصة.

لدينا أيضًا محمود وهو شاب تم اختياره لكنه رفض رفضًا قاطعًا إجراء البتر واصمًا الحكومة وممثليها بأنهم لا يفهمون شيئًا في قوانين الطبيعة.

أظن أن هذا البشري الغريب سيمثل جرثومة تهدد بقاء السلالة التي لا تقهر إن تركته السلطات حرًا طليقًا.

لكن النتائج كانت تسير لصالح أبو سارابوزا..

ردت المذيعة: نعم دكتورة.

أمثال هذا الشاب عن قريب سيصبحون جراثيم تعكر صفو تجربتنا نحو السلالة التي لا تُقهر

لابد أن تتخلص منهم السلطات إن لم يخضعوا للقانون..

دكتورة: سمعنا أن لقاءً قد جمعك ونائب رئيس جهاز الأمن الفيدرالي بالإنابة الدكتور عاطف أبو رحمة.

نعم.. قبل قليل.. كان لقاءً مقتضبًا.

شكرنا على ما نبذله من جهود لحفظ السلالة كما أنه ألمح بتطهير البلاد من كل الرجال الذين لن يقومون بالبتر.. في خلال شهرين..

كان أمامه تقارير من جهات عالمية تؤكد تخوفها من نقاء السلالة.

سمعنا أنكِ متزوجة وزوجك يعمل بالخارج،

المشاهدون يودون معرفة الجانب الآخر للشخصيات العامة.

ردت باسمة: بعلي..

نعم عبد الله.. إنه يعمل بالخارج وقد طلبت منه منذ لحظات بتر جميع أصابعه العشرة.

يعمل حارس هناك..

أخشى عليه أن يسقط من عدم مقاومة الفاتنات هناك.

ردت المذيعة بقهقهة: أيغير العلماء أيضًا؟!.

نعم.. الغيرة هي مجموعة معقدة من الأفعال والأفكار والمشاعر التي تتبع تهديدات للاحترام الذاتي، أيضًا تلك التهديدات تطال وجودك..

وكل هذه الأخطار تتولد إذا ما شعر الشخص أن هناك بوادر أو علامات للتقارب بين من تغير عليه ومنافس..

أتظنين أن هناك امرأة تقبل تهديدًا لاحترامها الذاتي ، أو وجودها!..

وهل يقبل أي زوج هناك. اذا ما نمت قدمه الثالثة أكبر وأكبر.. أن يحدث تقارب بين زوجته وعبد الله؟!.

سيدتي أشعر بغيرة شديدة الآن عليه..

خاصة وأنه يعمل حارس لبناية تقطنها عديد من الزوجات الفاتنات..

بينما يستعد لركوب الطائرة

كتب تغريدة أخيرة:

أسمعتم ؟.. عبد الله هذا يعمل حارسًا في البناية التي أقطن فيها.. هذه الصورة لعضوه الذكري نتيجة لبتر أصبع واحد.

يا ويلي! كيف أصبح طوله الآن؟!.

لم تمض ساعات إلا وتجمهر آخر من خمسمائة سيدة، حول البناية التي يقطنها فهد بعد أن قام بإرسال عنوانها في أحد الردود..

كان عبد الله بالأعلى مع زوجة فهد ليضمن لها أقصي اتساع ممكن.

لكن الأمن قام باعتقاله.. والتحفظ عليه.. وقد تم إبلاغ فهد بذلك، لكنه أشار أن سيارة ستأتي لنقله إلى مكان مجهول.

بعد فترة..

جاء خمس وعشرون شابًا.. مبتوري الأصابع للبناية.. من أجل التجربة الوطنية.. وتم وضعهم بالداخل مع مراقبة طبية شديدة وتغطية إعلامية منتظرين اليوم الذي تسفر عنه النتائج التي بات يتابعها كل شباب تلك الدولة على مدار الساعة مع ازدياد عدد التغريدات.

الفصل الرابع

الدماء تنزف في كل مكان.. هناك على الأسـرّة في غرف النوم والعمليات أيضًا..

والأصابع هناك في كل مكان على الأرض..

الضباع سوف تسمن وتتغذى،

ابن آوي سيعلنها قريب.

الخراب..

لا أصابع اتهام نحونا..

مجزرة لكنها محببة للنفس كما أنه لا اتهام قد يتم توجيهه إلينا.. مطلقًا..

ربما يأتي اليوم الذي يضعون فيه الأصبع بدلًا من المنقار حوله خرطوم على قطعة قماش ذات لون بني فاتح.

قالها بقهقهة.. بينما يمد يده نحوهما:

كيف يشيرون لنا بالاتهام إذن!.

أهـلًا..

أهـلًا فهد..

أهلًا دكتور سعدت بلقائك.

لقد تعارفتما.. الآن ننتقل للخطة الأخيرة..

رجلانا المخلصين..

لقد أديتما ما طُلب منكما وأكثر من ذلك،

نشكر لكما تفانيكما في خدمة العين المقدّسة..

هكذا رد نائب رئيس الاستخبارات الفرنجية

ولن يمكن تحقيق الخطوة الأخيرة تلك إلا إذا حصلتما على مكافأة.

مكافأة؟!.

نعم..

وأكبر مما تتخيل مستر فهد وأنت أيضًا يا دكتور

لقد اتفقنا أن يصبح كلًا منكما رئيسًا في بلده، وسنتولى نحن عن طريق رجالنا الذين يسيرون على قدمين ويمكنهم حمل وإطلاق السلاح بمهمة تدبير الانقلاب ثم حمايتكم بعد ذلك.

في هذه الأثناء بينما نحن نتكلم تأتينا تقارير بزيادة عدد حالات البتر الكاملة في باقي مجموعة دول البطريق الست والعشرين.

إنهم يسيرون على خُطاكم لكن بوتيرة أسرع

ذلك لأنكم أكبر دولتين.. فأنتم كل ما يهم العين المقدسة..

شكرًا.. شكرًا

قالها فهد بقهقهة..

عفوًا.. مستر بريذنتت.

لكن بعد ثلاث شهور من الآن سيحدث هذا الانقلاب حينما يتم التأكد من خلوّ دولتيكما من الجراثيم

قريبًا جدً. أليس كذلك!.

مما زاد في انتفاخه للدرجة التي تراجع فيها مقعده للخلف.

لكن ما هو الثمن؟.

رد الدكتورعاطف..

فقط أمور ثلاثة..

الأول: ألا تفعلا أي شيء قط، تصرفا كملكين مُنعمين مُرفهين فقد قضيتما عمرًا طويلًا في العمل وأُرهقتما بما يتناسب مع حياة قادمة حُبلي بالخمور والميسر والنساء ورحلات الصيد، وكذا التخييم والرحلات البحرية.

دعوا لرجالنا حولكم مهمة ترتيب تلك الأمور.. لا أريد منكم تضييع بضع ثوان حتى في مجرد التفكّر.

حسنًا رائع.. أحب المُلك.. رد الرئيس فهد..

والأمر الثاني:

نعم.. أن تصدرا قرارًا يقضي بقتل وتعقّب كل من يرفض أو لا يخضع أو يقاوم عملية بتر الأصابع بشكل كامل، ومن لا تخضع للقياس حفاظًا على نقاء النوع، مع ملاحقة أي مرتدٍ للملابس ما لم يكن من رجال حرس الرئيس، إضافةً للرئيس.

تمام.. ممتاز..

والثالث

هو الأهم لنا ولكم:

فنظرًا لبتر الأصابع جميعها لمواطنيكم وما تبعها من حدوث المعجزة الإلهية التي أرادها الرب حكرًا عليكم وحدكم.. أنقى أنواع البشر.. الجنس السامي العظيم وتحوّل القضيب إلى عضو ضخم كبير ذو رأس غليظة، أصبح معها قدمًا ثالثة، مما جعل النسل المحسّن الجديد يسير على ثلاثة أقدام وربما خمس، فذلك بالطبع يستدعي راحة تامة كما قُدّر له ذلك.

وعليه فإننا سوف نقوم عن طريق شركاتنا وشركاؤنا في العالم بالقيام بكافة أمور خدماتكم في كل نواحي الحياة.

استخراج كل ما في باطن الأرض وتسويقه، المطاعم، المزارع، المصانع، والبيع والشراء، حتى قيادة السيارات بمواطنيكم.

أقولها لكم بكل فخر سادتي..

نحن سنقوم بخدمتكم.

كل شيء؟!.

نعم كل شيء وما على مواطنيكم سوى الراحة التامة، كما أن لدى رجالكم عبئًا ثقيلًا فيما يخص اتساع أحواض الفتيات الجُدد وإمتاعهن وضمان تدفق السوائل وتبادلها، والعمل على إنجاب من يضمنون استمرار الجنس السارابوزي والبطريقي العظيمين.

ومن أجل ذلك، يجب أن يتم السماح لهم بحرية ممارسة الجنس بشكل تام.. في الشوارع وحتى نحن سوف نسمح لهم باعتلاء كافة الأماكن التي نتواجد فيها بحُرية تامة.. حتى على أعتاب قواعدنا العسكرية فسنقف مصطفون حولهم من أجل الحماية.

كما أنه ليس عليهم الاهتمام بتدبير الطعام والشراب، سيصلهم أينما كانوا وجبات جاهزة فاخرة، سيحرص وكلاؤنا على أن تكون مفيدة لأعمالهم الشاقة المرهقة في مهمة الحفاظ على النوع.

أيضا سنقوم بتثبيت شرائح ذكية في كتفي المواطنين من أجل تواصلهما، تعتمد على تقنية جديدة يستخدمها علماؤنا العسكريون.

فعن طريق التحدث فقط يمكن لأيٍ منهم استدعاء والرد على أي صديق.. كما يمكن لرجالنا أيضًا المكلّفين بالحماية معرفة أماكنهم وماذا يفعلون

وهـذا أيضًا ينعكس على توفير أقصى حماية لكما ملكي العزيزين.

كما سنضع شاشات عملاقة في كافة الشوارع لتسجّل ما يحدث على مدار الساعة ليشعر المواطنين بالأمان كما يستطيعوا معرفة الأماكن التي يتوجّب عليهم زيارتها.

كما يمكن لنسائكم أيضًا بمجرد النظر معرفة أكثر الرجال ضخامة وأوفرهم سائلًا..

أنا مؤمن تمامًا بقانون "جان باتيست لا مارك" الأول والثاني.

وعلى إثر ذلك أتمنى منكم دكتور عاطف أن تقوم بتعيين تلك المرأة التي شاهدناها على شاشة التلفاز تدعو الرجال لبتر كل أصابعهم من أجل أعضاء أضخم لمليء كافة أنواع الأحواض.

ميساء..؟!.

إنـها الأقـدر على تقلّد وزارة شـئون الحفاظ على النوع السارابوزي.

مهمتها أن تفرز الرجال الأقوى وتقوم باختبارهم وفريقها من الحسناوات، ومن ثَم تضمن نقاء النوع وبقاء الذرية وسلامة السلالة.

تمام.. سأفعل ذلك.

كما لا تنسى ملاحقة ذلك الشاب الذي يشكك في قدراتكم العلمية، ووطنية أجهزتكم الأمنية.

أيضًا نحن سوف نقوم بحمايتكم عن طريق جنودنا وطائراتنا ودباباتنا.

لكن ذلك يستلزم أن تتركوا لنا كافة قواعدكم العسكرية لنضع فيها رجالنا غريبي الشكل.

لكن أحد الرجال دخل فجأة ليعلن أمامهما لقد تم اغتيال رئيسيكما منذ لحظات.

وما السبب؟.

رئيسك يا عاطف قام بتوبيخ حارسه الشخصي على مرآى من زملائه والذي قام ببتر أصابعه كلها بناءً على طلب زوجته، بعد أن بترت سبابته منذ ثمان سنوات بينما يصلح سيارته في الصحراء واصفًا إياه بأنه أصبح مسخًا.

والآخر قتله صهره وزير الداخلية بعد أن قتل زوجته الجديدة درءًا للفضيحة، وشخصًا شاهدهما معًا، يسمى عبد الله أرسلت لأخذه من محبسه ليقوم بتوسعة حوضها بعد أن أعجبها صورته التي رأتها في تغريدة.

لكن فهد قال باسمًا: لا بل قُتل في رحلة صيد بعد صراع مع وحش كاسر رفض الاستسلام له، دفاعًا عن رفقائه.

ابتسم الرجل بقهقهة ناظرًا للرئيس أبو رحمة

أنا أيضا فور عودتي اليوم سأحاول قطع بعضًا من أصابعه، لقد مات رئيسنا محاولًا اللحاق بالنسل الجديد.. لكنها الطبيعة تقفدنا أعظم الرجال..

أيها الأخوة المواطنون:

فقدناك وطنًا..

فقدناك بطلًا..

الفصل الخامس

ما هذا الذي أراه؟!.

لا أصدّق كيف تحوّل الجميع في خلال تلك الأشهر القصيرة!.

بعضهم ربما مُجبرين لكن الأغلبية قد اختاروه

لا يُصدق هذا الهرج!.

رجال ونساء يمارسون الجنس في الشوارع، عرايا غير عابئين للدين أو مكترثين للمارة!.

لأنهم جميعًا هكذا..

نعم إنهم يفعلون الفاحشة جميعًا!.

رجال يسيرون عرايا على ثلاثة أقدام وآخرون على خمس، ونساء تصطف على نواصي الطرقات تقفز هنا وهناك، تغمز إحداهن لصاحب القدم الثالثة الكبرى هناك ويتشاجرن فيما بينهن.

إنها ميساء..

مَن تشير ناحيتها.. تأمره بالحضور بين قدميها.

رمقها بنظرة فوضعت على إثرها عينيها أسفل ذلك الرجل الفائز.. جاءها فأمسكت به.

تنظر له بسخرية وربما تهديد جعلته يمضي دون حسرة على ما كان في قلبه يومًا ما ناحيتها..

يمضي هاربًا من الذين يلاحقونه وأمثاله الذين أصبحوا قلائل.

لكن انشغالهم جميعًا يمكّنك من الهروب الآن

لقد وضعوا صورتي في كل الميادين مطلوب حيًا أو ميتًا.

سمعت أيضًا أن الأوامر قد صدرت لرجال الجيش والشرطة بالقيام بالبتر لعدم شعور المواطن بالتمييز، كما أن الرجل الذي تحدّث قبل أسبوع مضى قال إننا نطمع في إنتاج جندي لا يُقاوم وشرطي خارق.

إلى أين؟.

لا يدري لكنه يمضي باتجاه الشرق.

تحوّلت الأرض إلى لوحة مُخيفة رسمها فنان سيكوباتي أعتمد السريالية طريقة فنية.

لوحة جمعت أشخاصًا واقعيين منهم من عرفهم، بيد أنه قام برسمهم بمنتهى الكمال الذي كانوا يبحثون عنه..

طويلًا بقدم ثالثة ضخمة الرأس، كما أن النساء أصبحن أيضًا ملكات جمال.

لكنهم يقمن جميعًا بأعمال وحشية لم يشأ ذلك السيكوباتي أن يتدخل في تجميل قُبحها..

رسمهم جميعًا بطبقة واحدة من اللون.. الأحمر

أيضًا نفس الفعل.. هو ما تراه.

جعلهم في أوضاع هندسية مختلفة، منهن من كانت منحنية، ومنهم من كان ملتصقًا على فتاته كخط مستقيم لا مساحة للضوء تفرق جسديهما.

وكان كل اثنين منهم.. بعيدين عن الآخرين.. في استقلال جعلهم لا يشغلون بالهم بالنظر تجاهه، رغم أنه الوحيد على تلك البقعة من كان غريبًا شاذًا خارج الإطار.

لم يكن عاريًا..

ويمشي على قدمين.. ويتمتع بيدين وعشرة أصابع.

أثارت تلك اللوحة وجدانه، فحاول البحث عن جوهرها..

يحاول التخلّص من آثارها على واقعه وارتباطه بها..

فمضى دون أن يلتفت خلفه.

لكن تلك الأجساد لكلٍ منها معانٍ متعددة، ليست ساكنة بل متحركة كغضبه الذي يزيد شيئًا فشيئًا أثناء سيره.

السماء أيضًا لم تعُد تظهر بلونها الطبيعي الأزرق، ولا الأشجار حتى.. فقد اختفى ظلها

الذي انعكس عليه لون السماء الأحمر فحوّلته إلى اللون البني الفاتح.

واختفت الروح وطغى عليها الجسد العاري بشكله وفعله.

لكن إرادته القوية تبدأ للتوّ في تشكّلها،

حتى هـؤلاء الجنود قد تركوا قاعدتهم العسكرية وخلعوا بزاتهم المقدسة ووضعوا أقدامهم الثلاثة أمام المارة دون حتى كلمة سر.

ينصبون خيامًا ميدانية تحوي أسرّة بدائية من مرتبة ومخدة وفوطة بجوار كوبٍ من الماء

مع إعلان بالتمتع المجاني للمدنيين.

كان هناك أيضًا أطفالًا صغارًا يجلسون حول ذويهم، منهم من كان نصف عاري، ومنهم من تمّ العبث بعقله واختزال اهتماماته وتحجيمها في مشاهدة القدم الثالثة الأكبر فيسترقون النظر إليها تارة، وما تفعله في امهاتهم تارة أخرى،

تتهاوى في أعينهم شرف الأم وعزة الآباء.

وهذا رضيع يبكي بحرارة على مقربة من والدته التي يطأها رجلٌ يقوم بشد يديها تجاهه لكنه لا يستطع تحريكها.

ولبكائه؛ قام ذلك المسخ بإلهائه بيده اليمنى وبدت والدته مغمضة العينين تصدر فحيحًا زاد في معاناة الطفل.

إنك ما زلت تحمل طهر الطبيعة ونقاء الفطرة يا صغيري دون تلويث.

حمله بكلتا يدياه وانطلق دون أن تلتفت الأم لكن الرجل أطبق عليها باليد اليسرى مما زاد في صراخها، لكن محمود ربت على كتفي الطفل وقبّله فهدأ قليلًا.

هذا الرضيع أعتقد أنه اقترب من عامين..

أفضل ما يحمله هي فطرة العفاف والطُهر

يحمل في داخله بذور الغد الأفضل.

يفكر بينما يربت على كتفه في حنان أبوي فطري حتى ابتسم.

لكن الغد الأفضل لن يتحقق في وجود هؤلاء الحمقى الملاعين.

لا غدٌ أفضل دون أن يكون خيارك بين يديك.

الطفل يحاول مد يده نحوه فأمسكها فزاد في تبسّمه

في احتياج للوثوب على التجارب السلبية الفاشلة وعدم تكرارها.

لم يعد الرضيع ينظر للوراء بل ثبّت نظره على القاعدة العسكرية التي اقتربا منها.

ولا يمكن تحقيقها دون اتخاذ خطوات جادة بينما ينطلق بخطوات بدت أسرع للطفل حتى أصدر صوتًا عاليًا ينبئ عن سعادته.

كما أنه في احتياج لتأمّل ذلك الجمال الذي شوهته تلك اللوحة.

الجمال بنوعيه.. الداخلي والخارجي،

لكن ذلك يستدعي تدمير تلك اللوحة حتى لا يراها هذا الرضيع مستقبلًا..

إنها الفرصة الوحيدة ليترعرع جماله الداخلي دون كَدر.

كما لن يكون هناك رجلًا أول يحكي قصتها التي ربما تتحول لأسطورة يرددها اللاحقون لأحفاده.

يحتاج ذلك الغد الأفضل إلى نبذ الخوف واستجماع القوة والإرادة.

لكن كل ذلك في احتياج لقسط من النوم.

ونحن كذلك..

أليس صحيحًا يا صغيري!.

ربما كنت أيضًا في احتياج للطعام مثلي.

دخلا القاعدة العسكرية التي كانت خالية تمامًا،

غرفة تحكّم السلاح المدمر،

ممنوع الولوج،

ممنوع التصوير والاقتراب،

لكن الأبواب كانت مفتّحة على مصراعيها وقِطع الملابس متناثرة هنا وهناك.

شاشات عملاقة تصور كل شيء بالخارج

ميساء هنا..

إنها ما زالت تتفاوض مع الرجل الأضخم بينما تمسك بقدم أخرى وتنظر لصاحبها بسخرية لكن تبدو عليها علامات الارتياب وتركّز نظرها عاليًا..

انظر!

أمك هنا أيضًا..

لن تراها.. كما أن هذه الشاشات لا تبيّن الأصوات،

يبدو أنها ما زالت تصدر فحيحها..

إنها تحت هذا الرجل.. تمامًا.. في خطٍ مستقيم،

لكنك الآن في أفضل حال يا صغيري.

ما اسمك؟.

آه.. لن ترد أيضًا.

سأطلق عليك اسمًا..

ما رأيك؟.. سلطان! حمدان! صفوان!.

لا.. إنها أسماء ثقيلة نوعًا ما، كما أنها تعبّر عن وجهتي نظر.

ماجد

نعم..

جميل.. اسمك ماجد.

فلتحمل معك المجد للغد الأفضل.

لكن دعنا الآن نحاول البحث عما يدفعنا في رحلتنا نحوه.

اجلس هنا يا صغيري..

الملابس متناثرة وكذلك الرتب العسكرية؛ لواء، عقيد، صف ضابط.

حتى الذين جاوزوا الخمسين.. يا الهي!.

الرجال يا صغيري لا يعتريهم سن اليأس،

لكن اليأس هو ما تحصل عليه جرّاء مخالفة الفطرة.. لا تنسى ذلك.

مفهوم؟.

ثلاجة مليئة بأنواع العصير المختلفة وأطعمة أيضًا .. لكن أين طعامك أنت؟ اين الحليب؟!.

نعم إنه هناك في ثديي والدتك يلقمه الغريب

لكن لا تحزن..

سنجد لك رزقًا لهذا اليوم، وهذا يكفي.

يا ماجد لا تحاول البحث عما تأكله غدًا، عش في حدود يومك فقط، وإنما حاول اليوم ألا يأكلك اليأس.

لا تتحرك، سأذهب لاكتشاف الحجرات الأخرى.. يبدو أنه لا أحد إطلاقاً هنا..

أظن أنهم أصبحوا يعتمدون على الشاشات بعد أن عجزوا عن الجلوس على تلك المقاعد بسبب طول قدمهم الثالثة..

أيضاً المسدسات والمدافع هنا في كل مكانٍ على الأرض..

نعم فكيف يستخدمونها إذن بعد أن قاموا بقطع أصابعهم جميعًا.

وما هذه الحقيبة الخضراء داخل هذا الزجاج؟!.

لعل بها أموال..

لكن الزجاج مفتوح!.

يضعون أي شيء ثمين داخل هذا الزجاج أعرف ذلك من زياراتي المتكررة للمتاحف..

الحقيبة النووية! ماذا؟!.

وتلك ثلاثة كتيبات سوداء وبطاقة.

إذن ما كان يتردد صحيحًا..

الوكالة الدولية للطاقة الذرية كانت تلمّح إلى أن القاعدة العسكرية المركزية تحوي نشاطًا نوويًا

لكن القيادات العسكرية كانت تنفي وبشدة.

تعليمات لكيفية توجيه ضربة نووية.

وهنا مكتوب مواقع الإيواء السرية،

لكن السلاح النووي مميت للجميع.

هذا أفضل لهذا الطفل..

هناك قاعدة إيواء أخرى.. بجوار الشجرة المقدسة.

كيف تُترَك تلك الحقيبة هكذا دون حراسة حتى من جندي واحد؟!.

ألا يدركون خطرها.. أم باتوا يأمنون للبقية هنا؟.

لكن ماذا عن أعداء الخارج؟.

يبدو أن أعداء الخارج لم يعودوا في حاجة للتنصت ومحاولة تدميرنا.. أو حتى إرسال جندي واحد نحو تلك القاعدة.

لقد تكفّلنا نحن بذلك.

إنها نيران صديقة لذيذة،

تتضح لذتها حينما تطالع تلك الوجوه بالخارج،

حتى والدة هذا الطفل لم تكن منتبهة له حتى الآن، ما زالت تحت هذا الضخم.

الطفل.. ماجد

لقد تأخرت عليه

أين الحليب؟!.

هنا المطبخ..

وهذا حليب بودرة.

عذراً يا ماجد فهذا ما لدينا..

أشعر أني تأخرت عليه.. فلأحضر له حليبًا في أحد تلك الأكواب وأناوله بالملعقة هذه.. عِوضًا عن حلماتها التي أهدتها لفم هذا الغريب الضخم..

تعالى هنا أيها المشاكس..

تفضّل حليبك الطازج،

هذا أقصى ما يمكنني فعله الآن،

ربما ساعدك هذا على النوم..

وأنا أيضًا..

لكن دعنا أولًا نغلق هذه الحجرة علينا من الخارج وقد أحضرت مرتبتين ووسادتين وغطاءً كبيرًا يسعنا.

نم يا صغيري واعلم أن أفضل الرزق

سكينة الروح.. وصحة الجسد، وصديق صالح، وصلاح نفس، ونوم هنيء.

الفصل السادس

لا تبكي يا ماجد..

لم تمر سوى ساعتين على نومنا،

أظن أنك جائع أو أنك اشتقت إلى والدتك،

تعال، لا عليك أن تشتاق لها كما لم تنتبه لك حين مضيت بعيدًا.

الامومة هي الاهتمام كما الحب تمامًا يا صغيري.

هناك أيضًا ما زال الجميع في نواديهم

يعاقرون النساء..

انظر..

العدد في ازدياد.. أفواجٌ تتضاجع وأخرى تشاهد ثم يتبادلون المواقع.

المضاجعة ليست عاطفة يا صغيري،

لها هدف واحد فقط هو الإنجاب.

مثلك هكذا..

لكن كيف تنجب أنت من يحمل عنك مجدك في الغد الأفضل؟.

نعم أنت في احتياج لأنثى.

ابتسامتك تدل على أنها فطرة،

لكن الفطرة يا صغيري لا تأتي بمنكر إطلاقًا.

سأقوم لأحضر لك حليبصا آخر.. انتظر هنا وخد تلك الرتبة العسكرية فلتلعب بها.

ها قد أتيت.. أيها اللواء ماجد.

تفضّل يا بطل..

ما تلك الصافرة؟!.

لعلها إنذار..

إنها تنطلق من تلك الشاشة هناك..

طفلة تبكي.. تحاول المضي وراء ذلك المسخ

ربما كان والدها.

لا إنه يحاول قذفها بحجر، يبدو أنه ارتطم بجدار القاعدة الخلفي مما أصدر صوتًا،

إن هذا الرجل يقف بينها وبين امرأة

لعلها والدتها التي اختارت هذا المسخ،

لعل ما أراه سيفرح ميساء جدًا..

كما قال "تشارلز داروين" في تعقيبه على ما يحدث في التطور بواسطة الاصطفاء الطبيعي،

النسل الذي يتم إنجابه يكون أكبر عددًا من ذاك القادر على النجاة.

ربما تركتها لأنها تعلم أنها لن تنجو، الأرض لم تعد تسع إلا ذوي الأقدام الثلاثة يا صغيرتي.

فأفراد التجمع الذين يموتون يُستبدلون بنسل الوالدِين الذين كانوا متكيفين أكثر على النجاة والتكاثر في البيئة التي حدث بها الاصطفاء الطبيعي.

لكنك تسيرين على قدمين.. كما أن لديكِ ملابس وحوض صغير جدًا لن ينتج ذرية في القريب العاجل.. كما لا يمكن التنبؤ بإنتاجك لأنك أساسًا نتاج تزاوج لذوي القدمين..

اهدئي يا صغيرتي..

ماجد..

لقد ردت لك الفطرة الصاع، حين تبسمت لها

تلك أنثاك يا صغيري،

دعني أخرج لالتقاطها قبل أن يلوثها مسخ،

الفطرة دومًا لها العجب يا صغيرتي،

بالداخل يوجد حبك ومستقبلك..

كما قال "أمبادوكليس" منذ ثلاث وعشرين قرنًا،

إن البغض الذي ترينه الآن هو ما يحرس الكرة التي سندخلها الآن معًا لتجدي حبك المستقبلي

نعم فلأعرّفكما.

هذا ماجد..

وأنتِ.. ما اسمك؟.

ألمح في عينيك بريق حزن وصمت وانكسار،

دورك سيكون كبيرًا يا ماجد مستقبلًا،

إنه يتمحور حول جعل هذا البُغض بالخارج لا يلوث طهارة ما بالداخل هنا في رفقتك.

هذه الأرض العذراء البِكر البيضاء،

عفراء..

هذا اسمها يا ماجد..

امسك يديها.. عاهدها على ذلك،

لا تتشاجرا على الحليب.

رائع ما قمت به حقًا يا ماجد،

هذا ما يتوجّب على الرجل،

الحب في احتياج لطاقة يا صغيري

تعطيها طواعية.

طواعية.. يا عفراء..

فلننهض الآن ربما عاد هؤلاء المسوخ لأخذ بعضًا من الطعام ووجدونا هنا،

أنا شخصيًا على قوائم المطلوبين،

فلنأخذ معنا ما يقيتنا في رحلتنا،

نحن السائرون على قدمين.

لكننا أصبحنا الآن..

ثلاثة..

الفصل السابع

في منتصف الطريق تذكّر شيئًا.

لا. تبقّت مهمة قبل أن نذهب للملاذ الآمن.

انتظر حتى هبط الليل، ونام الصغيران في السيارة،

وقف ساكنًا لا حِراك واستلقى أرضا وعيناه محدّقة بأعلى الشجرة المقدسة،

سمع أنينًا.. الأسطورة صحيحة أم أن صوت حفيف الشجرة تحوّل أنينا مع وحدته؟!.

لكن السراب ظاهرة موجودة فعليًا، لكنها بالنهار فقط.

استجمع قواه مترقبًا..

فإذا بصقر كبير الحجم راه بتليسكوب ليلي أخذه من القاعدة العسكرية، هبط على أعلى الشجرة ونزل إلى أسفلها.

شعر بأن له قدمين وربما ثلاثة!.

اقترب من جذعها وأخذ يضربه بأقدامه الثلاث مع منقاره.

والجذع يزيد في أنينه.

لم يعد يميز مصدره.

في دقائق كان الجذع على وشك السقوط!.

انتصب واقفًا وقام بإخراج بندقيته وصوّبها نحو الصقر، فأرداه قتيلًا..

ثم قام بخلع العلم ولف قطعة القماش التي أصبحت سميكة وقوية بعد أن أنشأ لها مصنعًا خاصًا حول الجذع، ثم حفر حفرة وثبّت العصا فيها وأماله على الجذع لمساندته.

أحضر الصقر وقام بذبحه وأسال دماءه تحت الشجرة.

ثم ابتعد عنها فإذا بصفق يسمعه بالليل يزيد شئيًا فشيئًا، يلتفت ويقف ليتبين دون جدوي!.

كان النهار قد بدأ بالبزوغ،

أحس أن هناك شيئًا على كتفه الأيمن..

إنها هي،

الحمامة ذات المنقار المقطوع،

نظر لها وربت على جناحها دون أن ينظر لها ودون أن تخشاه هي أو تغادر كتفه حتى مرا على شجرة الزيتون،

توقّف عندها ونظر إليها، لكنها طارت أمامه بضع خطوات، فمضى هو الآخر وراءها فعادت إلى كتفه مرة أخرى.

الآن أصبحنا أربع.

فلنمض نحو ذلك الملجأ الآمن الذي قام ببنائه أول جد لنا جميعًا.. جعله على مقربة من الشجرة المقدسة..

سيصبح أمن الناس هو القانون الأعلى كما قال "شيشرون"..

الشجرة التي تركها الأحفاد تئن ليلًا دون حراك،

يبدو أن هذا الملاذ الآمن قد جعلهم لا يهتمون لها ولا يخافون ذلك الصقر، طالما كانوا بعيدين عن الأنين..

نصف المعرفة أخطر كثيرًا من الجهل كما قال "برنارد شو"..

نعم أيتها الحمامة..

خُلقنا للمساعدة.

Non nobis solum nati sumus

كما قالها «ماركوس توليوس شيشرون» خطيب روما المفوّه.

عذرًا.. ربما جرحتك بكلمة مفّوه..

نحن الآن بعيدين عن تلك المسوخ التي لن تقترب من هذا الملجأ..

الشهوة والخوف عدوَّان، كما ان أحدهما هو فضيلة الحيوان الكبرى.

نعم يا صغيرين امضيا متشابكين هكذا، الحب يبدأ في اليد، لا هناك في الأسفل.

قريبًا جدًا سيبدأ التدفق في المشاعر نحو المناطق الأكثر حساسية.. القلب!.

المشاعر لا رائحة لها، فقط تأثير.

السلالة الأنقى هي صاحبة التأثير الأقوى،

القوة فضيلة الحيوان الثالثة يا ماجد، والتأثير هي فضيلة الإنسان الثالثة يا عفراء..

هذا سيؤدي إلى ظهور تأثيرات أكبر، أكثر تعقيدًا للفهم من مجموعة متنوعة من الأفكار الجديدة،

هذا سيولّد نوعًا جديدًا من الجنس السارابوزي

هذا فقط.. لن يُقهر!.

العقل هو فضيلة الإنسان الأولى يا صغيريّ، يليه الحب مباشرة.

لقد اقتربنا أيها الثلاثة.

التطور يحدث بأربع آليات كما قالت ميساء، لا شأن لكم بها، أيضًا يمكن إحداثه صناعيًا، عن طريق تلك الحقيبة النووية.

نعم أيتها الحمامة، لكن لن تستطيعين حينها إيجاد غصن الزيتون المشتعل..

فالشجرة المقدسة ذاتها ستختفي،

عندها سيتواجد المقدّس داخل هذين الصغيرين فقط.

الروح يا صغيريّ..

الظلم والجهل خطيئتان لا تسمحا بهما أيها السلالة الجديدة.

كما لن يكون هناك مجالًا لخروج ابن آوي

سيختبئ هو أيضًا، وربما يموت جوعًا.

لعلنا نجد فيها إضافة إلى ما نحمله من مؤونة نستعيض بها عن الخروج طلبًا للرزق لمدة كافية،

حوالي ثلاثة أشهر وعشرًا.

حتى تختفي المسوخ،

وحتى تتشكل شخصيتكما دون تعكير من تلك السوائل الكريهة.

ستصلان إلى النضج الذي يجعلكما ترفضان التورط بعلاقة مؤقتة أو صداقة باردة أو جدال أحمق أو التعلق بالزائفين.

كما قال «فيودور ديوستفيسكي»،

تكمن مهمتي أن أجعل هذا البُغض الذي يحيط بالكرة التي سينمو فيها حبكما يتدمر تمامًا..

الآلية الخامسة للتطور تكمن في ذلك يا صغيريّ

فعلها الله.. مرارًا لكننا كنا نطلق عليها غضب الطبيعة،

يطلقون عليها كوارث طبيعية،

الطبيعة لا تأتي بكوارث.. إنها فقط نتاج ضعف قرار الإنسان مع أحداث الطبيعة العنيفة،

كالتي افرزت هؤلاء المسوخ.

لكن قرارنا بدأ في التشكّل بقوة..

أليس كذلك أيتها الحمامة!.

ها قد وصلنا.. فلندخل جميعًا متشابكي الأيدي ونغلق هذا الباب من الداخل،

توقفا هنا..

الفصل الثامن

لم تتغير تلك القاعدة منذ ثمان سنوات حين زرتها وزملائي في الجامعة لدراسة الكائنات الصحراوية ، جلسنا هنا ثلاثة أيام.

أعرفها جيدًا..

إن كان ظني صادقًا، فهنا غرفة مزدوجة بأربع أسرّة، تحت الأرض على اليمين، واسعة جدًا مُلحق بها حمام ومطبخ وثلاجة كبيرة.

كان هنا ثلاثين مسخًا يحرسونها لكنهم كالبقية زحفوا باتجاه الأحواض هناك.. تلك ملابسهم متناثرة ورتبهم كذلك.

إنها قد صُممت ضد السلاح النووي كملاذٍ آمنٍ لكل الزعماء..

جدرانها من الرصاص وتحت الأرض، وتم اختيارها بين الجبال ورمال الصحراء حولها بمستوى أعلى كما رأيتم..

بعيدة عن أقرب منصة إطلاق صواريخ بحوالي 12 كم، وهي مسافة آمنة في حال التعرّض لهجوم نووي على المدن السكنية.

يجب عليكم الابتعاد عن أي انفجار نووي مدة أسبوعين على الأقل.. كما يجب ارتداء ملابس بيضاء.

كان هذا ما قالته المعيدة التي كانت تشرح لنا، كانت منقّبة ونظراتها مركّزة ناحيتي.

إن هذا السلاح يكفي لإعادتكم مرة أخرى للعصر الحجري..

لكنني أحضرت كل المؤونة التي كانت هناك في القاعدة في السيارة بالخارج، كما أعتقد أن هناك ما يكفي أربعة بدلًا من ثلاثين مسخًا، إلا إذا كانوا قد أتو عليها..

لا.. الثلاجات ممتلئة عن آخرها.

لقد قالوا في دراسة قرأتها أن هناك خلايا عصبية يُطلق عليها الخلايا الغامضة للذكر.. متواجدة في المخ تجعل الذكور يفضلون الجنس عن الطعام..

هذه الدراسة من مصلحتكم تمامًا..

أليس كذلك يا محمود؟.

قالتها مبتسمة..

من أين عرفتي اسمي دكتورة..

من صديقك الذي بجانبك كان ينادي عليك.

غريب حقًا..

نعم أتذكّرها في هذا المكان بالضبط، حينما رأت ذلك الضابط يعطينا ما أمامه من طعام حينما عرضت عليه أن ينطلقاً سويًا لاستكشاف المنطقة حول القاعدة بمفردهما.

نفس الكلمات التي رددتها ميساء حينما كنا في السينما ورفضت آكل الفشار بينما تضع يديها داخل قرطاسي..

فلآكل أنا وتمتع أنت.. قالتها بدلع ليلتها..

هنا أيضا لدينا مصدر منفصل للماء والكهرباء وصرف صحي ولدينا حوض كبير،

وقالت الدكتورة المشرفة عليكم أنها تود قضاء ليلة إضافية هنا ونحن نشرُف بها وبكم..

ولا تقلقوا.. سنوصّلكم بسياراتنا الجيب إلى منازلكم ولا عليكم من ذلك الباص الذي سيأتي لإحضاركم اليوم عصرًا.

قال ذلك الضابط بعد أن أتيا متشابكي الأيـدي، لكن يده اليمنى كانت مغطاة بشاش به آثار من الدماء،

قالت الطبيبة لا تفزعوا.. لقد بتر أصبعه السبابة الأيمن، سقطت عليه السيارة أثناء قيامه بتبديل الإطار الذي انفجر.

تقتضي شهامتنا أن نجلس معه يومًا إضافيًا للاطمئنان على جرحه ربما حدث لإصبعه غرغرينا، وهنا سوف أكون ملتزمة بالاطمئنان عليك يوميًا.. سوف أرسل لك عنوان منزلي أيضًا أيها الضابط الشهم القوي.

لا عليكم أنتم.. أنا من سيظل بجواره،

قوموا بالتنزّه في أرجاء المكان بحرّية

المكان هنا آمن جدًا.

نعم يا صغيريّ.. تشابكا وامضيا معًا لتكتشفا معًا كل شيء في نفس الوقت..

هنا تنتقل الحياة بينكما..

الحمد لله أنهم قد غادروا بجانبهم حتى نتخلص منهم جميعًا.

هنا أيضًا شاشات عملاقة مرتبطة بالأقمار الصناعية المستأجرة تصور كل شيء على بُعد مائة كم.. في الواقع أن كل أرجاء المدينة الكبرى تحت أعيننا هنا.

نعم.. ذلك يتضح هناك في هذه الغرفة.

تعاليا معي لنرى..

ما زالوا يتضاجعون، لكن هناك رجالًا حولهم بقدمين يشاهدون.. وجوههم مُغطاة وبيد كل منهم سلاح..

كما يرتدون ملابسهم، تبدو عسكرية لكنها ليست كملابس جنودنا.

هم كثيرون جدًا.. لكنهم لا يمنعون هذا العبث،

يقفون حولهم مصطفين ينظرون بسخرية،

أظن أنهم ربما جاءوا للحماية..

حماية تلك السلالة الأنقى،

لكنها معي هنا..

أظن أن الوقت قد جاء لفتح تلك الحقيبة الخضراء، وقراءة التعليمات.

هذا حليبكما الأبيض،

وهذا طعامي..

اجلسا هنا قليلًا وداعبا تلك الحمامة، أنا في الغرفة الرئيسية.

رأسي يؤلمني فلأشرب كوبًا من الشاي على ذلك السرير وأقرأ كُتيب التعليمات،

كيفية توجيه ضربة نووية استباقية..

الفصل التاسع

لم أنم منذ ثلاثة أيام طوال رحلتنا للوصول إلى هنا

أعتقد أني طالما أُعجبت بالنظرية النفعية في الأخلاق..

ونظرية التبعية لصاحبيها «هانز سنجر»، و«راؤول بريبتش» في علم النفس الاجتماعي،

كما آمنت أيضًا ب "جان باتيست لا مارك"

وأيضًا آمنت بجينيالوجيا الأخلاق ل "فردريك نيتشة" ..

يجب هدم تلك الطقوس التي تخدم مصالح فئة محددة بإرادة القوة.

فلا يجب عليك أن تستسلم بالصبر كفضيلة لترك الطبيعة، هي من تنتقم..

لكن يمكن الهمس بها لها كما قال "آرثر شوبنهاور " ..

نعم..

عن طريق تلك الأزرار..

لابد من تحويلها إلى عدم،

أليس كذلك يا صديقي؟!.

العدم المُطلق هو ما أقصده، فعدم الاستقرار والأمن والتأثّر من صغيرينا بالخارج هو ما نود مقاومته..

مجزرة حتى لا يشير التاريخ بأصابعه نحو هؤلاء المسوخ..

لكن العدم النوعي قد تم اجتناب حدوثه عن طريق من بداخل الغرفة المجاورة.

اطلق كل الصواريخ بأصابعك العشرة تجاه هؤلاء المسوخ..

آسف لم أقصد..

لا عليك يا محمود..

هل يمكن توجيه صاروخ خاص نحو تلك المرأة الجالسة تفرز أضخمهم قدمًا؟.

أنا أيضًا كم أود حرق حوضها الذي اتسع لثلاثة، إضافةً إلي زوجها، لم أكن أنا أحدهم.

لعلك نسيتني يا صديقي القديم.

رد مبتسمًا..

أطلق بالقرب منها في وسط تلك الدائرة تحديدًا

يا إلهي.. لقد اختفت بعد أن رفعت يديها نحو الشاشة باسمة.

تحوّلت تلك المناطق جميعها لكرة من اللهب

نعم ككرة البُغض التي تحيط بهؤلاء الصغار لحمايتهم..

يحاولون الفِرار بأجسادهم المشتعلة..

نحو ماذا؟.

نحو العدم المُطلق يا صديقي..

أطلقت كل الصواريخ حتى على قصر الرئيس،

في غضون أربع وعشرين ساعة سينتهي هذا الهرَج، وفي خلال أسبوعين سنشاهد معًا انقراض تلك السلالة.

لكن هذين الصغيرين يجب حمايتهما مستقبلًا، هناك طريق أوحد لضمان ذلك..

نخرجهم من هنا نحو مكان بعيد أو دولة أخرى لحين نضوجهم؟.

لا، بل يجب جلب البُغض لهم..

كرة أكبر من البُغض تحيط بحبهم.

الأمة التي لا عدو لها هي أمة وديعة..

سأطلق صاروخين على تلك الدولة هنا بالخريطة،

هناك مسوخ أيضًا كما أن هناك فرنجّة..

اطلق.. اطلق

نحن لا ندمرهم، فقط سنقوم بتغيير طبيعتهم نحوهما، إذا كان لهما عدو دائم فسوف يظلان في السلطة معًا لأطول وقت.

لقد سقطت المباني كورقة التوت.. عليهم جميعًا، واختفى البعض كالماء في شقوق الأرض.

يا إلهي!.

إنه انتقام الطبيعة يا صديقي.

نعم تلك التي همست لنا..

الصغيران بالخارج يبكيان، ربما نظروا في الشاشة المتواجدة أمامهم.

اخرج لهم أنت وحدك، ربما زاد شكلي المشوّه من بكائهم..

صغيريّ ماذا بكما متسمّرين أمام هذه الشاشة

نعم.. ربما رأيت والدتك يا ماجد وأنتِ أيضًا يا عفراء..

لكن لا تجزعا.. تعالا في حضني

عانقاني..

إنهما الآن بأمان تحت تلك الشقوق التي توسّعت بفعل الطبيعة.

حملتهما لأخفف عنهما.. ثم قمت بالجثو على قوائمي الأربع، وهما على ظهري أدور بهما أرجاء الغرفة.

بينما الصغيران يضحكان بصوتٍ عالٍ

والحمامة تقف على كتف ماجد ترفرف بجناحيها وأغصان الزيتون المشتعلة لم تحرك فيها ساكنًا.

لكن عفراء قامت بنزع يديها من يده ودارت حولنا ثم أتت أمامه وأمالت رأسها قليلًا،

لم نكن ننتبه إلى أوراق الزيتون الخضراء، التي نثرتها الحمامة فوق رأسه وكتفيه،

يبدو أنها كانت مُخبأة تحت جناحيها،

بينما تسقط ورقة من يدي عفراء:

المرأة فخ نصبته الطبيعة..

نظرتُ إليه مبتسمًا:

لكن الرجل دائمًا هو الطبيعة..

أليس كذلك أيها الضابط ؟!.

شكرًا لمساعدتك لي طوال تلك المدة.

لا، بل شكرًا لك لقتلك ميساء والجميع.

لا، لولاك لم أكن أعلم كيف أهمس للطبيعة.

لكنه دار، ثم انحنى على أقدامه الخمس بجوار عفراء.

فتراجعت للخلف حتى أمال رأسه للأرض..

تراجعت للخلف وأطلقت أربع رصاصات أصابته في مقتل.

תודה על שיתוף הפעולה

ثم حملته عاليًا فضحك والحمامة على كتفه الأيمن بينما أنظر لها بابتسام انحني معي يا عفراء،

فقد كانت تلك رغبة والدتك رحمها الله.

أبو سارابوزا..

أبو سارابوزا

أبو سارابوزا

عن المؤلف

- طبيب بشري حاصل علي بكالوريوس الطب والجراحة جامعة الزقازيق
- ماجيستير طب الأسرة Family Medicine .. جامعة قناة السويس ..
- عضو المنظمة العالمية لأطباء الأسرة WONCA
- عضو الأكاديمية الأمريكية لأطباء الأسرة AAFP
- عضو اتحاد الأطباء العرب
- عضو اتحاد كتاب مصر
- يعمل حاليا في دولة الكويت بوزارة الصحة
- مهتم بالتثقيف الطبي الصحيح من خلال صفحته على الفيس بوك : DR. Ozores .. وموقعه الإلكتروني على الإنترنت www.dr-ozores.co
- معظم كتبه في سلاسل وصدر له حتى الآن:

- هكذا علمني الطب

- ساعة فضا
- وفي أنفسكم
- كيف تتحكم بهم
- أسرار السعادة الزوجية
- حضرتي طبيب نفساوي
- 100 قرش مجموعة قصصية
- والرواية التي بين أيديكم.

إصدارات في الطريق

- كيف تتحكم بهم؟ (سلسلة متجددة)
- هكذا علمني الطب (سلسلة متجددة)
- حضرتي دكتور نفساوي (سلسلة متجددة)
- وفي أنفسكم (سلسلة متجددة)
- ساعة فضا (سلسلة متجددة)
- أسرار السعادة الزوجية (سلسلة متجددة)
- مملكة عتريس (رواية)
- باراباس (مجموعة قصصية)

- تينا (رواية)
- التائب (رواية)
- النظرية السداسية للحب
- هذا الزواج .. باطل!
- اختزال المعنى وحضارة المادة
- غر كريم وخب لئيم
- كيمياء الأخلاق
- أكذوبة الوزن المثالي
- دع الإخصاب جانبًا
- الأمر اللذيذ
- فذوقوا فما للظالمين من نصير
- للفقر فوائد لهم
- ألا يعلم من خلق ؟!
- سرقات متحضرة
- في مربع الجسد
- مسدس الارتداد المثالي

- شجرة الخلد وملك لا يبلي
- كيف تنتصر؟!
- المراهقة مرحلة صحية
- فن صناعة الخرفان
- خمسة عين راحت فين
- 250 فائدة للرضاعة الطبيعية
- مرض السكر قطار الطبيعة
- القاتل الصامت
- الربو .. زائر متقطع
- فقر الدم
- القولون العصبي
- أكذوبة الكوليسترول

فهرس

الإهداء 5

تنويه هام 7

الجزء الأول

الفصل الأول 13

الفصل الثاني 21

الفصل الثالث 27

الفصل الرابع 33

الفصل الخامس 41

الفصل السادس 51

الفصل السابع 61

الجزء الثاني

الفصل الأول 69

الفصل الثاني 79

الفصل الثالث 91

الفصل الرابع 95

الفصل الخامس 107
الفصل السادس 113
الفصل السابع 123
الفصل الثامن 131
الفصل التاسع 135

الجزء الثالث

الفصل الأول 143
الفصل الثاني 153
الفصل الثالث 161
الفصل الرابع 167
الفصل الخامس 175
الفصل السادس 187
الفصل السابع 193
الفصل الثامن 199
الفصل التاسع 205
عن المؤلف 211
إصدارات في الطريق 212